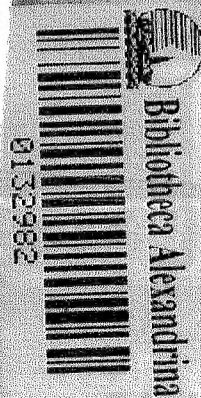


طه محمد بن عبد الله العفيفي

الصفات الواجبة والمستحبة
والجائزة في حق

الله
تبارك وتعالى



دار مطبعة اللبنانية

الصفات الواجبة والسبحلة
والجائزة في حق

الله
تبارك وتعالى

الناشر : الدار المصرية اللبنانية

١٦ ش عبد الحالقي ثروت - القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ - القاهرة

رقم الإيداع : ٩٣/٩٦٩٦

الترقيم الدولي : 4 - 115 - 270 - 977

تجهيزات فنية : آر - تك

العنوان : ٣٣٩ ش السودان

ت : ٣٤٧٢٥٥٥

طبع : آسون

العنوان : ٤ عطقة فيروز - متفرع من اسماعيل ابازة

ت : ٣٥٤٤٣٥٦ - ٣٥٤٤٥١٧

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

تصميم الغلاف : صالح وحيد

الصفات الواجبة والمستحيلة
والجائزة في حق

الله
تبارك وتعالى

طه عبد الله العففي
خادم القرآن والسنة

الم. ش. ر.
دار النشر
الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد ﴾ .

* قال رسول الله ﷺ

[تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا] .

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن قوما تفكروا في الله عزوجل ، فقال النبي ﷺ :

[تفكروا في خلق الله ، ولا تتفكروا في الله ، فإنكم لن تقدروا قدره] .

قال العراقي : رواه أبونعيم في الحلية بإسناد ضعيف ،
ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه ،
ورواه أبو الشيخ كذلك ، وهو على كل حال صحيح المعنى .

* * *

الإهداء

إلى الإخوة المسلمين والأخوات المسلمات الذين يريدون أن
يكونوا من عباد الله الحقيقيين ، على أساس توحيدى سليم :
أقدم : (الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة فى حق الله
تبارك وتعالى) حتى يعرفوا من خلالها : من هو الله الواحد الأحد،
الذى ليس كمثله شئء وهو السميع البصير .
وحتى يكونوا بسبب هذه المعرفة - إن شاء الله تعالى - من
أهل التوحيد الخالص الذى لافلاح ولانجاح فى الدنيا والآخرة
إلا به، والله ولى التوفيق ،،،

المؤلف

تقديم هام

أخى المسلم - أختى المسلمة :

فى ليلة من الليالى المباركة كنت ألقى محاضرة دينية بين
المغرب والعشاء فى مسجد من مساجد الجمعية الشرعية - ناحية
بين السرايات جيزة .

وكننت فى هذا الدرس قد ذكرت بأن الإمام عليا كرم الله
وجهه وقف ذات يوم على المنبر ليخطب فسأله أحد الجالسين بين
يديه عن مسألة من المسائل ، فقال : الله أعلم .. فتعجب هذا
السائل ، ثم قال للإمام على كرم الله وجهه :

هذا مكان من يعلم ولا يجهل .. فقال له الإمام :

هذا مكان من يعلم ويجهل ، أما من يعلم ولا يجهل فليس
له مكان .

وكننت أقصد بهذا الكلام أن يتواضع أهل العلم ، فضلا عن
طلابه ، وأن يدركوا تماما أن العلم بحر لا شاطئ له ، وأن الله تعالى
وحده هو الذى يحيط بكل شئ علما .

ولكن يبدو أن كلامى هذا لم يعجب أحد الإخوة الحاضرين ،

فأخذ يناقشنى فى موضوع الفوقية .

فقلت له : يا أخى إنه لا يصح أن نحدد مكانا لله تبارك وتعالى ؛ لأننا لو حددنا له مكانا لكان حادثا ، ولما كان إلها ، وهو سبحانه مخالف للحوادث ، وهو سبحانه كما قال عن نفسه فى قرآنه : « ليس كمثله شئ » .

وكاد اللقاء هذا ينتهى بفتنة ، ولكن الله سلم .

ثم حدث بعد ذلك وبعد أن عدت إلى بيتى أن أخذت أفكر فى هذا الموضوع الهام ، الذى كما رأيت ينبغى أن نضع فيه النقط على الحروف ؛ حتى لا يكون هناك زيغ أو ضلال بهذا المعنى الكبير من مفهوم ، ولا سيما إذا كان يتعلق بالعقيدة التى هى الأساس فى هذا الدين الحنيف .. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله :

يارب إن ذنوبى فى الورى كثرت

وليس لى عمل فى الحشر ينجينى

وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه

حب النبى وهذا القدر يكفينى

ثم رأيتنى بعد ذلك أتناول الجزء الأول من (الدين الخالص)^(١) الذى قرأت فيه تحت عنوان : « علم التوحيد » بأنه لغة العلم بأن الشيء واحد، وشرعا أفراد المعبود - سبحانه وتعالى - بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وأفعالا .

وأنه يعرف بمعنى الفن المدون بأنه علم يبحث فيه عن معرفة العقائد الدينية ، وهى التى يجب على كل مكلف ذكر أو أنثى ، حر أو رقيق أن يعتقد بها :

فيجب عليه أن يعرف الصفات الواجبة لله تعالى والمستحيلة ، والجائزة فى حقه تعالى .

وأن يعرف الصفات الواجبة للأنبياء والرسل ، والمستحيلة عليهم ، والجائزة فى حقهم ، عليهم الصلاة والسلام .

وأن يعرف ما جاء فى الكتاب والسنة من أحوال الموت والقبر وما بعدهما .

وأن من لم يعرف ذلك فليس بمسلم ، ويخلد فى نار جهنم (والعياذ بالله) .

(١) وهو من أهم مؤلفات الإمام الأكبر الشيخ محمود خطاب السبكي ، رحمه الله تعالى .

****** ولهذا فقد رأيت من واجبي بصفتي عالما من علماء المسلمين المسئولين عنهم أمام الله تبارك وتعالى بما من الله على من علم نافع أن أعمل على إنقاذهم - بقدر استطاعتي - من الخلود في نار جهنم التي أمرنا الله تبارك وتعالى - نحن المؤمنون بصفة خاصة - أن نعمل على إنقاذ أنفسنا منها ، فقال :

***** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ^(١)

كما قال تعالى مشيرا إلى أهمية النجاة منها والفوز بدخول

الجنة :

***** ﴿فَمَنْ زُحَّيْحَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ...﴾ ^(٢)

****** وذلك بتذكير إخواني المسلمين - ذكورهم وإناثهم - بتلك الصفات الواجبة لله تعالى ، والمستحيلة ، والجائزة في حقه تبارك وتعالى ، ثم بالصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة في حق

(١) التحريم : ٦ .

(٢) آل عمران - من الآية : ١٨٥ .

الرسول عليهم الصلاة والسلام ، ثم بالصفات الخَلْقِيَّة والخَلْقِيَّة للرسول محمد ﷺ ، والصفات الخَلْقِيَّة والخَلْقِيَّة للعشرة المبشرين بالجنة ، وصفات المؤمنين ، وصفات المتقين ، وصفات المنافقين ، وصفات العارفين . وصفات المتوكلين ، وصفات أهل الجنة ، وصفات أهل النار ، فى أجزاء متتابعة وفى مجموعة مباركة ، أطلقت عليها اسم (مجموعة الصفات) : التى أسأل الله تعالى أن ينفع بها كما نفع بمجموعة : (وصايا الرسول ﷺ) ومجموعة : (الحقوق الإسلامية) بالإضافة إلى الكتب الأخرى التى نفع الله تعالى بها كذلك ، والتى منها : (مكائد الشيطان) ، (مفاتيح الجنة من الكتاب والسنة) و (مفاتيح السماء من مختارات الدعاء) و (ميراث رسول الله ﷺ) و (من : خطب الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين) و (من أفعال الرسول ﷺ فى الطهارة والصلاة) و (أسباب السلامة من أهوال القيامة) ..

هذا ، وإذا كنت قد أشرت إلى (مجموعة الصفات) المباركة التى أعمل ليلا ونهارا بتوفيق من الله تبارك على إتمامها ، فإننى أذكرُ الأخ المسلم والأخت المسلمة بأننى قد انتهيت -

والحمد لله - من كتاب جديد لن يقل أهمية عن الكتب المذكورة ، وهو : (من سنن العبادات القولية والفعلية) .

ولسوف تقوم : (الدار المصرية اللبنانية) بطبع ونشر (مجموعة الصفات) والكتاب الأخير ، مع دعائي لها وللقائمين على إدارتها والمتعاملين معها والقارئين لها - بأن يوفقنا الله تعالى وإياهم لما يحبه ويرضاه ، حتى نكون بذلك أهلاً لرحمته ومغفرته ، بل وبركاته ونفحاته ، إنه تعالى على كل شيء قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير ،،

غرة رجب ١٤١٣ هـ

٢٥ من ديسمبر ١٩٩٢ م

خادم القرآن والسنة

طه عبد الله العفيفي

(من هو اللّٰه تبارک و تعالیٰ ؟)

وقبل أن ندور حول هذا الموضوع الحيوى الذى سنتعرف من خلاله على الصفات الواجبة ، والمستحيلة ، والجائزة فى حق الله تبارك وتعالى - أرى أنه من الخير أولا كأساس لهذا الموضوع ، أن نعرف :

(من هو الله تبارك وتعالى ؟)

وحسبنا إذا أردنا أن نتعرف على هذا الإله العظيم .. أن نعيش بأرواحنا مع بعض الآيات القرآنية ، والأحاديث القدسية لنترى كيف يحدثنا سبحانه وتعالى عن نفسه وعن آياته ، فيقول :

* ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾^(١)

* ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ
إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٢)
* ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ

(١) سورة الفاتحة : ٢-٤

(٢) البقرة : ٢٩

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا
بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ .

* ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى
الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ
يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ
وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ
يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي
الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّزَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ
وَعَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِّبَعْضِهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي
الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ .

* ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ
شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿٥﴾ يُنْبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ
وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

(١) البقرة : ٢٥٥ .

(٢) الرعد : ٢-٤ .

لِقَوْمٍ يَفْكُرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ فِي ذَلِكَ
لَايَةٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي
سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلًّا وَمِنَهُ لَحْمٌ طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ
رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾
وَعَلَّمَكُم مَّا يُغْتَمِبُونَ ۖ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ
أَفَلَا تَذْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ نَعُدُّوهُ نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصِيهَا إِلَّا
اللَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾

* ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرْوِ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ
إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ
بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا

(١) النحل : ١٠ - ١٨ .

يَوْمَ ظَعَنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۖ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا
أَتْنَا وَمَتَعْنَا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ
الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ
لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

* ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٨٧﴾ وَلَهُ
الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿٨٨﴾ يُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿٨٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا
أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٩٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَأَخْلَفَ السِّنِينَ ۚ وَالْوَنُكُرُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٩٢﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٩٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ
الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٩٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ

تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ
تَخْرُجُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قٰنِوٰنٍ ﴿٥٧﴾
وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ
الْأَعْلَىٰ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٨﴾

* وهو : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ
يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِثْلَ ذٰلِكُمْ مِّن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ
وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾

* وهو : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِثُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ
فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ
فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن كَانُوا
مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٦١﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ
رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُنحِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذٰلِكَ لَمُحِي الْمَوْتِ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٢﴾﴾

* وهو : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ

(١) الروم : ١٧-٢٧

(٢) الروم : ٤٠ .

(٣) الروم : ٤٨ - ٥٠ .

ضَعُفُ قُوَّةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعُفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿١﴾ .

* وهو الله الذي ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ فِي الْآرْضِ رَواسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ ١٠ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾

* وهو : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْيَلَّ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَالنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ١١ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهَ الْآلِهَةِ فَإِنِّي تُؤْفَكُونَ ﴿١٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾

(١) الروم : ٥٤ .

(٢) لقمان : ١٠-١١ .

(٣) غافر : ٦١-٦٥ .

* ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لَكُمْ تَوْنًا وَكُنْتُمْ أَشْيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلَنْبُلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١)

* ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٢)

* ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ

(١) غافر: ٦٧ - ٦٨ .

(٢) الحديد: ١ - ٦ .

السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ
 سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ
 لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ ﴿١﴾ .

* * * وقبل أن نقف على (أسماء الله الحسنى) وما ورد
 فيها من أحاديث شريفة أرى أن أقف معك أولاً على بعض
 الأحاديث القدسية التي يتحدث فيها رب العزة سبحانه وتعالى عن
 نفسه فيقول :

* (إني أنا الله ، لا إله إلا أنا ، من أقر لي بالتوحيد دخل
 حصني ، ومن دخل حصني أمن من عذابي) . رواه الشيرازي
 في الألقاب عن علي .

* (أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسماً من
 اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته ، ومن ثبتها
 ثبته ؛ إن رحمتي سبقت غضبي) . رواه أحمد ، والبخاري وأبو
 داود ، والترمذي ، وابن حبان ، والحاكم ، والبيهقي عن ابن
 عوف ، والحاكم ، والخرائطي ، والخطيب عن أبي هريرة .

(١) الحشر : ٢٢-٢٤ .

* (أنا الله ، خلقت العباد بعلمى ، فمن أردت به خيرا منحته خلقا حسنا، ومن أردت به سوءا منحته خلقا سيئا) رواه أبو الشيخ عن ابن عمر.

* (أنا الله ، لا إله إلا أنا ، مالك الملك ، وملك الملوك ، قلوبُ الملوك فى يدى ، وإن العباد إذا أطاعونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرفقة والرحمة ، وإن العباد إذا عصونى حولت قلوبهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب ، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ، ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتقرب أكفكم ملوككم) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى الدرداء.

* (أنا العزيز ، من أراد عز الدارين فليطع العزيز) رواه الخطيب البغدادى عن أنس .

* (أوحى الله إلى إبراهيم : يا إبراهيم ، إنى عليم أحب كل عليم) رواه ابن عبد البر معلقا .

* * هذا ، ويجدر بى بعد ذلك أن أعود ، إلى :

أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

التي أمرنا الله تعالى أن نسميه ونذكره وندعوه بها فقال :

* (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) (١).

والتي رغبنا الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في حفظها فقال :

* (إن لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة ،
وإن الله وترٌ يحبُّ الوترَ) رواه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة .
* وفى رواية : (إن لله تسعة وتسعين اسما : مائة إلا
واحدا ، من أحصاها دخل الجنة) :

أى (٢) : من حفظها وذكر الله بها واستحضر معناها واستشعر
آثارها من الرجاء والخوف والخشية دخل الجنة إن شاء الله .. وهذا
هو مراد الحديث لا حصر أسماء الله تعالى فى هذه الأسماء ،
للحديث الآخر :

(١) جزء من الآية ١٨٠ من سورة الأعراف .

(٢) كما جاء فى كتاب (التاج الجامع للأصول) ص ٩٣ .

* (أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك) .

وكمالات الله تعالى من صفات وأسماء لا نهاية لها ، ولكنه تعالى ما كلفنا إلا ما فى وسعنا وطاقتنا : (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)^(١) . فله مزيد الحمد ووافر الشكر . والذى يعيننا الآن هو أن نقف على الأسماء التسعة والتسعين ، الواردة :

* عن أبى هريرة رضى الله عن النبى ﷺ ، أنه قال :

(إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما ، من أحصاها دخل الجنة :

هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الخليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ،

(١) صدر آخرة فى سورة البقرة .

الرقيب، الجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث،
 الشهيد، الحق، الوكيل، القوى، المتين، الولي، الحميد،
 المحصى، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحى، القيوم،
 الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم،
 المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالى، المتعالى،
 البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو
 الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغنى، المغنى، المانع،
 المضار، النافع، النور، الهادى، البديع، الباقي، الوارث،
 الرشيد، الصبور) .

رواه الترمذى وابن حبان والحاكم^(١) .

ورواه الدارمى وزاد : كلها فى القرآن .

* وأخرج أبو نعيم عن محمد بن جعفر رحمه الله تعالى
 قال : سألت أبا جعفر بن محمد الصادق عن الأسماء التسعة
 والتسعين التى من أحصاها دخل الجنة ، فقال :

(١) بسند غريب للترمذى ، ولغيره بسند صحيح .

هى فى القرآن ، فى الفاتحة خمسة أسماء : يا الله ،
يارب ، يارحمن ، يا رحيم ، يمالك .

وفى البقرة ثلاثة وثلاثون اسما : يامحيط ، ياقدير ،
ياعليم ، يا حكيم ، يا على ، يا عظيم ، يا تواب ،
يابصير ، ياولى ، ياواسع ، ياكافى ، ياءوف ، يابديع ،
ياشاكِر ، ياواحد ، ياسميع ، ياقابض ، ياباسط ، ياحى ،
ياقيوم ، ياغنى ، ياحميد ، ياغفور ، ياحليم ، ياإله ،
ياقريب ، يامجيب ، يا عزيز ، يا نصير ، ياقوى ، ياشديد ،
ياسريع ، ياخبير .

وفى آل عمران : ياوهاب ، ياقائم ، ياصادق ، ياباعث ،
يامنعم ، يامتفضل .

وفى النساء : ياحسيب ، يارقيب ، ياشهيد ، يامقيت ،
ياوكيل ، ياعلى ، ياكبير .

وفى الأنعام : يافاطر ، ياقاهر ، يالطيف ، يابرهان .

وفى الأعراف : يا محيى ، ياميت .

وفى الأنفال : يا نعم الولي ، ويانعم النصير .

وفى هود : يا حفيظ ، يامجيد ، ياودود ، يافعال لما
تريد .

وفى الرعد : ياكبير ، يامتعالى .

وفى إبراهيم : يامنن ، ياوراث .

وفى الحجر : ياخلاق .

وفى مريم : يافرد .

وفى طه : ياغفار .

وفى قد أفلح : يا كريم .

وفى النور : ياحق ، يامين .

وفى الفرقان : ياهد .

وفى سبأ : يافتاح .

وفى الزمر : ياعالم .

وفى غافر : ياقابل التوب ، ياذا الطول ، يارفع .

وفى الذاريات : يارزاق ، ياذا القوة ، يامتين .

وفى الطور : يا بر .

وفى اقتربت : يا مقتدر ، يامليك .

وفى الرحمن : ياذا الجلال والإكرام ، يارب المشرقين ،
يارب المغربين ، ياباقى ، يامعين .

وفى الحديد : يا أول ، ياآخر ، يا ظاهر ، ياباطن .

وفى الحشر : ياملك ، ياقدوس ، ياسلام ، يامؤمن ،
يامهيمن ، ياعزيز ، ياجبار ، يامتكبر ،
ياخالق ، يابارى ، يامصور .

وفى البروج : يامبدئ ، يامعيد .

وفى الفجر : ياوتر .

وفى الإخلاص : يا أحد ، ياصمد . أ هـ .

* وقد حررها الحافظ ابن حجر رحمه الله فى (تلخيص
الخبير) تسعة وتسعين اسما من الكتاب العزيز منطبقة على لفظ
الحديث ورتبها هكذا :

الله ، الرب ، الإله ، الواحد ، الرحمن ، الرحيم ،
 الملك ، القدوس ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ،
 الخالق ، الباري ، المصور ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ،
 الحي ، القيوم ، العلي ، العظيم ، التواب ، الخليم ، الواسع ،
 الحكيم . الشاكر ، العليم ، الغني ، الكريم ، العفو ، القدير ،
 اللطيف ، الغبير ، السميع ، البصير ، المولى ، النصير ،
 القريب ، المحيب ، الرقيب ، الحسيب ، القوي ، الشهيد ،
 الحميد ، المجيد ، المحيط ، الحفيظ ، الحق ، المتين ، الغفار ،
 القهار ، الخلاق ، الفتاح ، الودود ، الغفور ، الرؤوف ،
 الشكور ، الكبير ، المتعال ، المقيت ، المستعان ، الوهاب ،
 الحفي ، الوارث ، المولى ، القائم ، القادر ، الغالب ، القاهر ،
 البر ، الحافظ ، الأحد ، الصمد ، المليك ، المقتدر ، الوكيل ،
 الهادي ، الكفيل ، الكافي ، الأكرم ، الأعلى ، الرازي ،
 ذو القوة ، المتين ، غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ،
 ذو الطول ، رفيع الدرجات ، سريع الحساب ، فاطر السموات
 والأرض ، بديع السموات والأرض ، نور السموات والأرض ،
 مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام . أ . هـ .

* وقد عدها جماعة غير من ذكرنا كسفيان بن عيينة وابن حزم والقرطبي وغيرهم ، وعدها ابن العربي المالكي في (أحكام القرآن) مرتبا لها على السور ؛ لكنه أخطأ في بعض ما عده ...
* ومن أجمل الملاحظات التي أشار إليها صاحب كتاب (معارج القبول) قوله بعد ذلك :

واعلم أن أسماء الله عز وجل ليست بمنحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة ، ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن ، بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين ، لحديث ابن مسعود عند أحمد وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ما أصاب أحدا قط همٌّ ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك - أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي - إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرجا) فقيل : يارسول الله ، أفلا نتعلمها ؟ فقال :

(بلى ، ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها) .

* واعلم أن من أسماء الله عزوجل ما لا يطلق عليه إلا مقتربا بمقابله ، فإذا أُطْلِقَ وحده أوهم نقصا ، تعالى الله عن ذلك ، فمنها : المعطى المانع ، والضار النافع ، والقابض الباسط ، والمعز المذل ، والخافض الرافع . فلا يطلق على الله عزوجل المانع الضار القابض المذل الخافض ، كلا على انفراده ، بل لابد من ازدواجها بمقابلاتها ؛ إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك ، ومن ذلك المنتقم لم يأت في القرآن إلا مضافا إلى ذو ، كقوله تعالى «عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ»^(١) أو مقيدا بالمجرمين كقوله تعالى : «إِنَّا مِنْ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ»^(٢)

* واعلم أنه قد ورد في القرآن أفعال أطلقها الله عزوجل على نفسه على سبيل الجزاء العدل والمقابلة ، وهى فيما سقت فيه مدح وكمال ، لكن لا يجوز أن يشتق له تعالى منها أسماء ولا تطلق عليه فى غير ما سقت فيه من الآيات ، كقوله تعالى :

(١) آل عمران ، من الآية : ٤

(٢) السجدة ، من الآية : ٢٢ .

﴿إِنَّ الْمُتَفِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ (١)

وقوله : ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ (٢)

وقوله تعالى ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (٣)

وقوله تعالى : ﴿.. وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (١٤) ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (٤)

ونحو ذلك ، فلا يجوز أن يطلق على الله تعالى : مخادع
ماكر ، ناس ، مستهزئ ، ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه ، ولا يقال
الله يستهزئ ، ويخادع ، ويمكر ، وينسى - على سبيل الإطلاق ،
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

✽ وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :

إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع
والاستهزاء مطلقا ، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنی ، ومن

(١) النساء : من الآية : ١٤٢ .

(٢) آل عمران : من الآية : ٥٤ .

(٣) التوبة - من الآية : ٦٧ .

(٤) البقرة : آخر الآية : ١٤ وجزء من الآية : ١٥ .

ظن من الجهال المصنفين فى شرح الأسماء أن من أسمائه تعالى :
 الماكر ، المخادع ، المستهزئ ، الكائد - فقد فاه بأمر عظيم تقشعر
 منه الجلود ، وتكاد الأسماع تصم عند سماعه ، وغر هذا الجاهل
 أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها
 أسماء ، وأسماءه تعالى كلها حسنى فأدخلها فى الأسماء
 الحسنى ، وقرنها بالرحيم الودود ، الحكيم ، الكريم ، وهذا جهل
 عظيم ، فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقا ، بل تمدح فى
 موضع وتُذمُّ فى موضع ، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله تعالى
 مطلقا ، فلا يقال إنه تعالى يماكر ويخادع ويستهزئ ويكيد ،
 فكَذلك بطريق الأولى لا يُشتَقُّ له منها أسماء يسمى بها ، بل إذا
 كان لم يأت فى أسمائه الحسنى المرید والمتكلم ، ولا الفاعل ولا
 الصانع ؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم ، وإنما يوصف
 بالأنواع المحمودة منها كالحليم والحكيم والعزیز والفعال لما يريد
 - فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستهزئ ، ثم يلزم
 هذا الغلط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعى والآتى
 والجائى والذاهب والقادم والرائد والناسى والقاسم والساخط

والغضببان واللاعن إلى أضعاف أضعاف ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالها في القرآن ، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل . والمقصود أن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق ، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه وتعالى ؟ قلت : ومن هنا يتبين لك ما ذكرنا من النظر في بعض ماعده ابن العربى ، فإن الفاعل والزارع إذا أطلقا بدون متعلق ولا سياق يدل على وصف الكمال فيهما فلا يفيدان مدحا ، أما فى سياقهما من الآيات التى ذكرت فيها صفات الكمال ومدح وتوحد كما قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ (٢) ﴿ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ وَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ (٢) . الآيات بخلاف ما إذا عدت مجردة عن متعلقاتها وما سقت فيه وله ، وأكبر مصيبة أن عد فى الأسماء الحسنى رابع ثلاثة ، وسادس

(١) الأنبياء - من الآية : ١٠٤ .

(٢) الواقعة : ٦٣ و ٦٤ .

خمسـة مصرحـا قبل ذلك بقوله : فى سورة المجادلة اسمـان
فذكرهما . وهذا خطأ فاحش ، فإن الآية لا تدل على ذلك ولا
تقتضيه بوجه لا منطقيا ولا مفهوما ؛ فإن الله عزوجل قال :
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَكُونُ لَهُ أَجْرٌ وَلَا أَجْرٌ مِنْ
ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُ رَأًى مَا كَانُوا ۝ ﴾ (١) الآية .

وأين فى هذا السياق : رابع ثلاثة ، وسادس خمسة ؟ وكان حقه
اللائق بمراده أن يقول رابع ثلاثة فى نحوهم ، وسادس كل خمسة
كذلك ، فإن الله تعالى يعلم أفعالهم ويسمع أقوالهم كما هو مفهوم
من صدر الآية ، ولكن لا يليق بهذا المعنى إلا سياق الآية ، والله
تعالى أعلم .

* واعلم أن دلالة أسماء الله تعالى حق على حقيقتها مطابقة
وتضمنا والتزاما ، فدلالة اسمه تعالى (الرحمن) على ذاته
عز وجل مطابقة ، وعلى صفة الرحمة تضمنا وعلى الحياة وغيرها
التزاما ، وهكذا سائر أسمائه تبارك وتعالى . وليست أسماء الله

(١) المجادلة - من الآية : ٧ .

تعالى غيره كما يقوله الملحدون في أسمائه ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، فإن الله عزوجل هو إله وما سواه عبيد ، وهو الرب وما سواه مربوب ، وهو الخالق وما سواه مخلوق ، وهو الأول فليس قبله شيء وما سواه محدث كائن بعد أن لم يكن ، وهو الآخر الباقي ، فليس بعده شيء ، وما سواه فان . فلو كانت أسماء الله تعالى غيره كما زعموا لكانت مخلوقة مربوبة محدثة فانية ؛ إذ كل ما سواه كذلك ، تعالى الله كما يقول الظالمون علوا كبيرا .

* ثم يشير بعد ذلك في (معارج القبول) إلى ملاحظة أخرى فيقول :

واختلف العلماء في معنى قوله ﷺ (من أحصاها) فقال البخاري وغيره من المحققين : معناه حفظها ، وأن إحدى الروايتين مفسرة للأخرى . وقال الخطابي : يحتمل وجوها :

أحدها : أن يعدها حتى يستوفيها ، بمعنى ألا يقتصر على بعضها ، فيدعو الله بها كلها ، ويثنى عليه بجميعها ، فيستوجب الموعود عليها من الثواب .

وثانيها : المراد بالإحصاء الإطاقة ، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها ، وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بمواجبها . فإذا قال : (الرازق) وثق بالرزق ، وكذا سائر الأسماء .

ثالثها : المراد بها الإحاطة بجميع معانيها • وقيل أحصاها : عمل بها ، فإذا قال : (الحكيم) سلم لجميع أوامره وأقداره وأنها جميعا على مقتضى الحكمة ؛ وإذا قال : (القدوس) استحضر كونه مقدسا منزها عن جميع النقائص ، واختاره الوفاء بن عقيل .. * * ومن أجل هذا المفهوم الأخير كان لابد أن نقف على معانى تلك الأسماء الحسنى حتى نكون - إن شاء الله تعالى - من هؤلاء المحصين لها على أساس من هذا المفهوم التعبدى الصحيح الذى أرجو أن نكون به - إن شاء الله تعالى - من المؤمنين الصادقين الذين يعرفون الله تعالى حق المعرفة التى بها سنكون كذلك من الأغنياء الحقيقيين ، كما يشير إلى هذا أحدهم فى قوله :

من عرف الله فلم تُغْنِه
مَعْرِفَةُ اللهِ فذاك الشقى

وقد قرأت فى (التاج الجامع للأصول) ^(١) شرحا وافيا
 لأسماء الله الحسنى رأيت بعد هذا التقديم الهام أن أزودك به -
 بتصرف يسير - فأليك :

شرح الأسماء الحسنى

حسب ترتيبها فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه :

١ - الله : عَلم على الذات العلية الواجب الوجود دائما ، وقال
 بعضهم : إنه الاسم الأعظم ، وفيه مؤلفات خاصة لابن عطاء
 الله السكندرى وغيره :

* وقد ورد تحت عنوان (الاسم الأعظم) عن عبد الله بن
 بريدة عن أبيه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا .
 يقول : اللهم إني أسألك أنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت
 الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ،
 فقال : (لقد سألت الله بالاسم الذى إذا سئل به أعطى ، وإذا
 دُعِيَ أجاب) . رواه أصحاب السنن .

(١) للأستاذ الشيخ منصور على ناصف . أكرمه الله .

* وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال :
(اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين) :

﴿ وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(١)
وفاتحة سورة آل عمران ﴿ اَللّٰهُمَّ اِنَّا نَعُوْذُ بِكَ مِنَ الْاِهْلِ الْاِيْمَانِ ﴾ ^(٢)
الْقِيَوْمُ ﴿ رَوَاهُ الْاِمَامُ اَحْمَدُ وَابُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

* وعن أنس رضى الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسا فى المسجد ورجل يصلى ثم دعا : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم . فقال النبي ﷺ : (لقد دعا الله باسمه العظيم الذى إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سئل به أعطى) رواه أبو داود والترمذى .

٢ و ٣ : الرحمن الرحيم : فالرحمن : أى المنعم بجلائل النعم .
والرحيم أى المنعم بدقائق النعم ؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، فهما من الرحمة بمعنى مريد الإحسان أو محسن بالفعل ، والأمران واقعان ، فهما صفة ذات على الأول ،

(١) البقرة : ١٦٣

(٢) آل عمران : ٢ و ١ .

وصفة فعلٍ على الثانى .

٤- الملك : أى ذو الملك أو المتصرف فى ملكه بالإيجاد والإعدام ونحوهما فهو صفة ذاتٍ على الأول وصفة فعلٍ على الثانى ،
أى صفة نشأ عنها الفعل والتأثير .

٥- القدوس - بالضم أشهر من الفتح : أى المطهر والمنزه من سمات النقص والحدوث ، بل هو مبرأ عن أن يدركه حس أو يتصوره خيال أو يحيط به عقل ، فهو من أسماء التنزيه .

٦- السلام : أى ذو السلام من كل نقص وآفة فى ذاته وصفاته وأفعاله ، أو معطى السلامة والأمن لمن يشاء ، أو ذو السلام على المؤمنين فى الجنة : لقوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾^(١) فهو صفة ذاتٍ على الأول ، وصفة فعلٍ على الثانى .

٧- المؤمن : أى المصدق لرسله بخلق المعجزات لهم ، أو المعطى الأمان أو المانح السكينة لمن يشاء .

(١) سورة يس : ٥٨ .

٨- المهيمن^(١) : أى الرقيب المبالغ فى المراقبة والحفظ ، فهو العالم الشاهد لا يغيب عنه مثقال ذرة .

٩- العزيز : أى الغالب ، فمرجعه للقدرة المتعالية عن المعارضة ، أو القوى الشديد ، أو عديم المثال ، فهو من أسماء التنزيه .

١٠- الجبار : أى هو المصلح لأمر عباده ، المتكفل بمصالحهم ، أو المتعالى عن أن يناله كيد كائد ، فهو من أسماء الأفعال على الأول ، ومن أسماء التنزيه على الثانى .

١١- المتكبر : أى هو من يرى غيره بالنسبة إليه رؤية مالك لعبيده ، وهو على إطلاقه لا يتصور إلا لله تعالى ، وهذا من أسماء الذات .

١٢ و ١٣ و ١٤ : الخالق ، البارئ ، المصور : وهى ألفاظ مترادفة على معنى واحد ، وهو الإيجاد من العدم والإبداع كما شاء . وقيل : الخالق : أى الموجد للمخلوقات من غير أصل ،

(١) من هيمن الطائر أى نشر جناحيه على فراخه زيادة فى صيانتهم*

والبارئ ، أى الموجد لها من أصل ، من البرء وهو خلوص
 الشئ من غيره تفصيا منه كبرء المريض من مرضه والمدين من
 دينه . والمصور ، أى المبدع لصور الأشياء لكل شئ صورة
 تميزه من غيره ، فالخالق : الموجد للإيجاد الأول ، والبارئ :
 المحدث له فظهر ، والمصور : الذى سواه فكساه صورة تناسبه .
 قال تعالى :

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ ﴾ (١) .

فالثلاثة على الترتيب الواقعى ، والاثنان الأخيران كالتفصيل
 للأول .

١٥ - الغفار : أى كثير الغفر وستر القبائح على العباد بدون
 مؤاخذه ، فضلا منه تعالى .

١٦ - القهار : أى الذى كل مخلوق فى قبضته ومسخر لقضائه
 ومقهور بقدرته •

١٧ - الوهاب : أى كثير النعم دائم العطاء والهبات •

(١) سورة الأعلى : ١ ، ٢ .

١٨- الرزاق : أى خالق الأرزاق وأسبابها كلها ومفيضها على عباده ، وما قبله إلى الخالق ^(١) من أسماء الأفعال .

١٩- الفتحاح : أى الحاكم بين العباد ، أو الناصر لمن شاء ، أو من يفتح خزائن رحمته لعباده ، قال تعالى :

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ ^(٢) .

فهو اسم ذات على الأول ، واسم فعل على ما بعده .

٢٠- العليم : أى الذى علم ما كان وما يكون أولا وآخرأ ظاهرا وباطنا فى الملك والملكوت ؛ لأنه خلق الأشياء كلها ، قال تعالى :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ^(٣) .

فالعلم صفة كشف للذات العلية .

٢١ و ٢٢ : القابض ، الباسط : أى مضيق الرزق على من شاء وموسعه على من شاء ، أو قابض الأرواح من الأشباح

(١) أى ما قبله إلى اسم (الخالق) .

(٢) فاطر ، من الآية : ٢٠ .

(٣) الملك : ١٤ .

لموتها وناشرها بالأشباح لحياتها ، أو قابض للقلوب بإضلالها ،
وباسط لها بهداها ورشدها ، فهما من صفات الأفعال .

٢٣ و ٢٤ : الخافض ، الرافع : أى من يخفض القسط ويرفعه ، أو
من يخفض الكفار والفجار بالخزي والذل والصغار وعذاب
النار ، ويرفع الأبرار بالإجلال فى دار السلام .

٢٥ و ٢٦ : المعز ، المذل : أى المعز لمن شاء بتوفيقه للفعل المليح ،
والمذل لمن شاء يهديه للقبيح ، فهو المعز لمن شاء إعزازه ،
والمذل لمن شاء إذلاله ، فهو من صفات الأفعال .

٢٧ - السميع : أى الذى يسمع كل شئ من الأصوات وغيرها
بدون حاسة .

٢٨ - البصير : أى الذى يبصر كل شئ ولو صوتا بدون حاسة ،
قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١) .

(١) الشورى ، من الآية ١١ .

فهما صفتان ينكشف بهما كل شيء انكشافاً تاماً كصفة العلم .

٢٩ - الحكم : أى الذى لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه ،
فمرجعه للقول الفاصل بين الحق والباطل ، والبر والفاجر ..
المجازى كل نفس بما عملت .

٣٠ - العدل : أى العادل المبالغ فى العدل ، فهو من صفات الأفعال .

٣١ و ٣٢ - اللطيف ، الخبير : أى اللطيف بأوليائه ، الخبير بهم ، أو اللطيف العالم بخفيات الأمور ودقائقها ، والخبير :
أى العليم ببواطن الأشياء ، فهما من صفات الكشف ، أو اللطيف العالم بالخفيات ، المتعالى عن أن يحس فهو من صفات التنزيه .

٣٣ - الحليم : أى الذى لا يستغزه غضب ، ولا يحمله على استعجال عقوبة ، فمرجعه التنزيه عن العجلة .

٣٤ - العظيم : أى البالغ أقصى مراتب العظمة فلا يتصوره عقل ،

ولا تحيط بكنهه بصيرة ، فمرجه التنزيه والتعالى عن إحاطة
العقول بكنه ذاته جل شأنه وعلا .

٣٥ - الغفور : أى كثير الغفران .

٣٦ - الشكور : أى الذى يعطى الجزيل على العمل القليل ،
فهما من صفات الأفعال .

٣٧ - العلى : أى البالغ فى علو الرتبة بلا نهاية ، فما من شىء إلا
وهو منقط عنه تعالى ، فهو من الأسماء الإضافية .

٣٨ - الكبير : أى الكبير فى كل شىء ؛ لأنه أزل و غنى على
الإطلاق ، أو الكبير عن مشاهدة الحواس وإدراك العقول ، فهو
من أسماء التنزيه .

٣٩ - الحفيظ : أى الذى يحفظ الأشياء من الزوال والاختلال ما
شاء ذلك ، ويحفظ على العباد أعمالهم حتى يجزيهم عليها
بفضله .

٤٠ - المقيت : أى خالق الأقوات بدنية وروحانية ، وموصلها
للأشباح والأرواح ، فهو وما قبله من صفات الأفعال .

٤١- الحسيب : أى الكافى لعبده من أحسبني أى كفانى ،
وحسبى الله أى كافينى ، أو الذى يحاسب الخلق يوم
القيامة ، فهو صفة فعل على الأول والثانى إن جعلت
المحاسبة مكافأة ، وإن جعلت معاتبة وتعدادا للأعمال كان
مرجعه للقول .

٤٢- الجليل : أى المتصف بصفات الجلال ، فهو من
صفات التنزيه كالقدوس . قال الرازى رضى الله عنه :
الفرق بينه وبين الكبير والعظيم ، أن الكبير الكامل
فى الذات ، والجليل : الكامل فى الصفات ، والعظيم
الكامل فيهما .

٤٣- الكريم : أى المتفضل المعطى من غير سؤال ولا عوض ،
واللطيف فى العتاب ، والمقدس عن النقائص ، وكريم الفعال
والخلال ، فهو فى الكثير صفة فعل .

٤٤- الرقيب : أى الذى يراقب الأشياء ويلاحظها ، فلا يغيب عنه

مثقال ذرة .

٤٥ - المجيب : أى الذى يجيب الداعى إذا دعاه قال تعالى :

﴿ اَدْعُونِيْ اَسْتَجِبْ لَكُمْ ۝ ﴾ (١)

٤٦ - الواسع : أى المحيط بكل شىء علما ، أو الجواد الذى عمت رحمته كل مؤمن وكافر وكل بر وفاجر ، أو الغنى الكامل . وقال بعض العارفين « الواسع : من لا نهاية لبرهانه ولا غاية لسلطانه ، ولاحد لذاته وأسمائه وصفاته جل شأنه وعلا . »

٤٧ - الحكيم : أى ذو الحكمة ، وهى كمال العلم وإحسان الفعل وإتقانه ، أو هو صفة مبالغة فى الحاكم ، فهو على هذا مرجعه للقول ، وعلى ما قبله مركب من صفة ذات وصفة فعل .

٤٨ - الودود : أى الذى يحب الخير لكل خلقه ، ويحسن إليهم فى كل الأحوال ، ولا سيما أولياؤه ، فهو من صفات الذات والأفعال .

(١) غافر - من الآية : ٦٠ .

٤٩ - المجيد : أى الماجد البالغ فى المجد والشرف ، أو الرفيع العظيم القدر، أو الجزيل فى العطاء ، فهو صفة تنزيه أو صفة فعل .

٥٠ - الباعث : أى باعث الرسل للأمم ، وباعث الهمم للترقى فى ساحات التوحيد ، وباعث من فى القبور ، فهو من صفات الأفعال .

٥١ - الشهيد ^(١) : أى العالم بكل مخلوق ، الحاضر معه فى كل مكان وزمان ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ ^(٢) أو من يشهد على خلقه يوم القيامة ، فمرجعه على هذا للقول، وعلى الأول للعلم - الحق - أى الثابت الذى لا يتحول، أو المظهر للحق ، أو الموجد للشيء كما تقتضيه الحكمة ، فهو صفة ذات على الأول ، وصفة فعل على ما بعده .

٥٢ - الحق : أى الثابت الذى لا يتحول ، أو المظهر للحق ، أو الموجد للشيء كما تقتضيه الحكمة ، فهو صفة ذات على

(١) من الشهود والحضور .

(٢) الحديد ، من الآية : ٤

الأول وصفة فعل على ما بعده .

٥٣ - الوكيل : أى القائم بأمر عباده وتسخير ما يحتاجون إليه ، أو الموكل إليه تدبير الخلائق ، فهو صفة فعل .

٥٤ و ٥٥ - القوى ، المتين : أى القوى ذو القدرة التامة البالغة للكمال ، والمتين ، أى البالغ فى الشدة من المتانة ، وهى شدة الشيء واستحكامه ، فمرجعها لكمال القدرة وشدتها .

٥٦ - الولي : أى المحب الناصر المتولي أمر خلفه .

٥٧ - الحميد : أى المحمود المستحق لكل ثناء ؛ لأنه الموصوف بكل كمال ، المولى لكل نوال ، فهما من صفات الذات والأفعال .

٥٨ - المحصى : أى الذى أحصى بعلمه كل شيء ، أو القادر الذى لا يشذ عنه شيء ، فهو صفة ذات أو صفة فعل .

٥٩ و ٦٠ - المبدئ ، المعيد : أى الذى أظهر الأشياء من العدم ، والذى يعيدها بعد العدم ، قال تعالى :

﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ^(١) .

٦١ و ٦٢ - المحيي ، المميت : أى الذى خلق الحياة فى كل
حى ، وخلق الموت فى كل من أماته ، قال تعالى : ﴿ خَلَقَ
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ^(٢) فهذان
واللذان قبلهما من أسماء الأفعال .

٦٣ - الحى : أى ذو الحياة الدائمة ، وهذه صفة قائمة بذاته
تصح له الانصاف بكل صفة .

٦٤ - القيوم : أى القائم بنفسه ، والمقيم لغيره ذاتا وتدبيراً .

٦٥ - الواجد : أى الذى يجد كل ما أراده فلا يعوزه شئ ، أو
الغنى المطلق .

٦٦ - الماجد : أى من المجد والشرف كالمجيد ، ولكنه أبلغ
منه .

(١) الأعراف، من الآية : ٢٩

(٢) الملك : ٢٠

٦٧ - الواحد : أى الذى لا ينقسم بحال ، فهو واحد بذاته وصفاته وأفعاله ، وفى نسخة زيادة الأحد ، وهو قريب من الواحد جل وعلا .

٦٨ - الصمد : أى السيد الذى يصمد ويفزع إليه فى الشدائد، أو الذى لا يطعم ، أو المنزه عن الآفات، أو الباقي الذى لا يزول ، فهو من أسماء الذات أو التنزيه .

٦٩ و ٧٠ - القادر ، المقتدر : أى ذو القدرة البالغة ، إلا أن المقتدر أبلغ لزيادة المبنى .

٧١ و ٧٢ - المقدم ، المؤخر : أى الذى يقدم بعض الأشياء على بعض فى الوجود ، كتقديم الأسباب على مسبباتها ، أو فى الشرف والقربة ، كتقديم الأنبياء والصالحين على من عداهم ، أو فى المكان ، كتقديم أجساد علوية على سفلية ، أو فى الزمان ، كتقديم أطوار وقرون بعضها على بعض كما قضت حكمته العلية، فهما من

أسماء الأفعال .

٧٣ - الأول : أى القديم السابق على كل شيء .

٧٤ - الآخر : أى الباقي وحده بعد فناء كل شيء ، فهو أول

بلانهاية

٧٥ - الظاهر: أى الجلى وجوده بآياته الباهرة .

٧٦ - الباطن : أى الخفى بِكُنْه ذاته عن نظر الخلائق إليه ..

الظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه شيء ...

فهذه الأربعة ^(١) من أسماء الذات .

٧٧ - الوالى : أى الذى تولى كل شيء وملكه ، فمرجعه

للقدره .

٧٨ - المتعالى : أى المرتفع عن النقائص ، البالغ فى العلاء قال

تعالى : ﴿ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ ^(٢)

فمرجعه للتنزيه .

(١) أى الأول والآخر والظاهر والباطن .

(٢) الإسراء ، من الآية : ٤٣ .

- ٧٩ - البر : أى المحسن العظيم .
- ٨٠ - التواب : أى الذى وفق المذنبين للتوبة وقبَلها .
- ٨١ - المنتقم : أى المعاقب للظلمة والعصاة الشاردين .
- ٨٢ - العَفْوُ : أى الذى يمحو السيئات عمن تاب إليه ، فهو أبلغ من الغفور ؛ لأن الغفر معناه الستر .
- ٨٣ - الرءوف : أى شديد الرأفة والرحمة ، فهو أبلغ من الرحمن الرحيم ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١)
- ٨٤ - مالك الملك : أى الذى يجرى الأمور فيه كما يشاء ، لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه .
- ٨٥ - ذو الجلال والإكرام - أى الذى لا شرف ولا كمال إلا له وحده ، ولا كرامة ولا مكرمة إلا وهى منه تعالى .

(١) الشورى : ٢٥ .

٨٦ - المقسط : أى العادل الذى ينصف المظلومين ، ويكسر شوكة الظالمين .

٨٧ - الجامع : أى المؤلف بين شتات حقائق مختلفة ، وجامع الناس ليوم القصاص ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۖ﴾ .. ﴿١﴾ - فهذه التسعة ^(٢) من صفات الأفعال .

٨٨ - الغنى : أى المستغنى بذاته وأسمائه وصفاته عن كل ما عداه ، المفتقر إليه كل ماسواه ، فهو من صفات التنزيه .

٨٩ - المغنى : أى الذى يغنى بفضله من شاء من عباده .

٩٠ - المانع : أى الذى يدفع أسباب الهلاك والنقصان عن أبدان وأموال وأديان .

(١) آل عمران : من الآية ٩

(٢) وهى : البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع .

٩١ و ٩٢ - الضار ، النافع : وهما وصفان بتمام القدرة ،
 فلا ضر ولا نفع ولا شر ولا خير إلا وهو بإرادته ، قال
 تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾^(١) ولكن الأدب أن
 ينسب الشر للعبد ، والخير لله ، قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ
 مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ
 نَفْسِكَ ﴾^(٢) .

٩٣ - النور : أى الظاهر بنفسه المظهر لغيره .

٩٤ - الهادى : أى الذى أعطى كل شىء خلقه ، ثم هدى
 وأحب من شاء فهداه للخير .

٩٥ - البديع : أى المبدع الذى يأتى بما لم يُسبق إليه ، أو الذى لا
 نظير له بوجه من الوجوه ، فهذه الأسماء السبعة^(٣) من
 صفات الأفعال إلا البديع بالمعنى الثانى فمن صفات
 التنزيه .

(١) النساء ، من الآية : ٧٨ .

(٢) النساء ، من الآية : ٧٩ .

(٣) وهى : الغنى المعنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع .

- ٩٦ - الباقي : أى الدائم الوجود فلا يناله فناء .
- ٩٧ - الوارث: أى الباقي بعد فناء الموجودات فتبقى بيده الأملاك بعد فناء الملوك كما كانت قبل خلقهم .
- ٩٨ - الرشيد : أى المرشد لعباده ، أو الذى تجرى تدابير له لغايتها على السداد بلا استشارة ولا إرشاد .
- ٩٩ - الصبور: أى الذى لا يعاجل بالقصاص من عصاه ، أو الذى لا يسرع بشيء قبل أوانه ، وهذا أهم من سابقه.
- ولهذه الأسماء الرفيعة معان وأسرار لا يعلمها إلا الله تعالى ومن ارتضاهم من عباده الأخيار الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم .. آمين .

ولقد تأثرت كثيرا بكلام جامع فى مقدمة كتاب (معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول فى التوحيد) ^(١) يتحدث فيها مؤلفه رحمه الله تعالى حول أسماء الله الحسنى

(١) تأليف الشيخ حافظ بن أحمد حكيم (رحمه الله تعالى) طبعة دار الأرقم، ج١

بأسلوب يؤكد صلته بالله تبارك وتعالى .. وقد رأيت - أنا الإسلام -
- كتمهيد لما سنقف عليه بعد ذلك من (صفات واجبة ومستحيلة
وجائزة في حق هذا الإله العظيم) - أن أزودك بهذا القول المبارك
الذي أرجو أن يكون كذلك سببا في صلتك بالله تبارك وتعالى ،
فإليك :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ كُفُوًا مِّنَ الدِّينِ ۚ ۞ (١) .

وما كان معه من إله ، الذي لا إله إلا هو ولا خالق غيره ،
ولا رب سواه ، المستحق لجميع أنواع العبادة ، ولذا قضى الأنعبد
إلا إياه ﴿ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَتَى مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
هُوَ الْبَاطِلُ وَأَتَى اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۚ ۞ (٢) عالم الغيب والشهادة
الذي استوى في علمه ما أسر العبد وما أظهر ، الذي علم ما
كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون
﴿ وَمَا يَعْرُجُ عَنْ رَّبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

(١) الإسراء : من الآية ١١١ .

(٢) الحج : ٦٢ .

السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ ﴿١﴾ ، ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ
فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا
يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ (٢) . كيف لا وهو الذى خلق وقدر ﴿ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٣) رحمن الدنيا والآخرة
ورحيمهما ، الذى كتب على نفسه الرحمة ، وهو أرحم
الراحمين ، الذى غلبت رحمته غضبه ، كما كتب ذلك عنده
على عرشه فى الكتاب المبين ، الذى وسعت رحمته كل شيء ،
وبها يتراحم الخلائق بينهم ، كما ثبت ذلك عن سيد
المرسلين : ﴿ فَأَنْظِرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤) .
الملك الحق الذى بيده ملكوت كل شيء ، ولا شريك له فى
ملكه ولا معين ، المتصرف فى خلقه بما يشاء من الأمر
والنهي والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة والهداية والإضلال ،

(١) يونس : من الآية ٦١ .

(٢) الحديد : من الآية ٥٤ .

(٣) الملك : ١٤ .

(٤) الروم : ٥٠ .

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) لا راد.

لقضائه ولا مضاد لأمره ، ولا معقب لحكمه

﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ ^(٢) ، ﴿ ... وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ ^(٣) . القدوس .

السلام الذى اتصف بصفات الكمال ، وتقديس عن كل نقص ومحال ، وتعالى عن الأشباه والأمثال . حرام على العقول أن تصفه ، وعلى الأوهام أن تكيفه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ^(٤) .

المؤمن الذى آمن أوليائه من خزي الدنيا ، ووقاهم فى الآخرة عذاب الهاوية ، وآتاهم فى هذه الدنيا حسنة ، وسيحلهم دار المقامة فى جنة عالية ، المهيمن الذى شهد على الخلق بأعمالهم وهو القائم على كل نفس بما كسبت ، لا تخفى

(١) الأعراف ، من الآية : ٥٤ .

(٢) الأنعام ، من الآية : ٦٢ .

(٣) المائدة : من الآية ١٨ .

(٤) الشورى ، من الآية : ١١ .

عليه منهم خافية ، إنه بعباده لخبير بصير . العزيز الذى لا مغالب له ،
ولا مرام لجنابه ، الجبار الذى له مطلق الجبروت والعظمة ، وهو
الذى يجبر كل كسير مما به ، المتكبر الذى لا ينبغي الكبرياء
إلا له ولا يليق إلا بجنابه ، العظمة إزاره ، والكبرياء رداؤه ، فمن
نازعه صفة منهما أحل به الغضب والمقت والتدمير . الخالق
البارئ المصور لما شاء إذا شاء فى أى صورة شاء من أنواع
التصوير، ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفِثَ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ
يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ
فَاحْسَنَ صُورَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ ﴾ (١) ، ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا
بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ ﴾ (٢) .

الغفار الذى لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك
به شيئا لأتاه بقرابها مغفرة ، القهار الذى قصم بسلطان قهره كل
مخلوق وقهره ، الوهاب الذى كل موهوب وصل إلى خلقه من
بحار جوده وفضله ونعمائه الزاخرة ، الرزاق الذى لا تنفد خزائنه

(١) التغابن : ٢ و ٣ .

(٢) لقمان : ٢٨ .

ولم يفض ما فى يمينه ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ماذا نقص من فضله العزيز يرزق كل ذى قوت قوته ، ثم يدبر ذلك القوت فى الأعضاء بحكمته تدييرا متقنا محكما ، يرزق من هذه الدينا من يشاء من كافر ومسلم أموالا وأولادا وأهلا وخداما ، ولا يرزق الآخرة إلا أهل توحيد وطاعته ، قضى ذلك قضاء حتما مبرما ، وأشرف الأرزاق فى هذه الدار ما رزقه عبده على أيدي رسله من أسباب النجاة من الإيمان والعلم والعمل والحكمة وتبيين الهدى المستنير . الفتاح الذى يفتح على من يشاء بما يشاء من فضله العميم ، يفتح على هذا مالا ، وعلى هذا ملكا ، وعلى هذا علما وحكمة ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(١) ، ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٢) ، العليم الذى أحاط علمه بجميع المعلومات من ماض وآت وظاهر وكامن ومتحرك وساكن وجليل وحقير . علم بسابق علمه عدد أنفاس خلقه وحركاتهم

(١) الحديد ، من الآية : ٢١ .

(٢) فاطر : ٢ .

وسكناتهم وأعمالهم وأرزاقهم وأجالهم ، ومن هو منهم
 من أهل الجنة ، ومن هو من أهل النار في العذاب
 المهين ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
 الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ
 الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^(١)

ما من جبل إلا ويعلم ما في وعره ، ولا بحر إلا ويدري ما
 في قاعه ﴿ ... وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا
 يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ
 عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾^(٢) ، القابض الباسط ، فيقبض عن
 يشاء رزقه فيقدره عليه ، ويسطه على من يشاء فيوسع
 عليه ، وكذا له القبض والبسط في أعمال عباده وقلوبهم ،
 كل ذلك إليه ؛ إذ هو المنفرد بالإحياء والإماتة والهداية والإضلال
 والإيجاد والإعدام وأنواع التصرف والتدبير . الخافض الرافع ، الضار
 النافع ، المعطى المانع ، فلا رافع لمن خفضه ، ولا خافض لمن

(١) الأنعام : ٥٩ .

(٢) فاطر : من الآية ١١ .

رفعه ، ولا نافع لمن ضره ، ولا ضار لمن نفعه ، ولا مانع لما أعطى ،
ولا معطى لمن هو له مانع ، فلو اجتمع أهل السموات السبع
والأرضين السبع وما فيهن وما بينهما على خفض من هو رافعه ،
أو ضر من هو نافعه ، أو إعطاء من هو مانعه - لم يك ذلك فى
استطاعتهم بواقع ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ
إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ يَخَيَّرْهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) ،
المعز المذل الذى أعز أوليائه المؤمنين فى الدنيا والآخرة وأيدهم
بنتصره المبين وبراهينه القديمة المتظاهرة ، وأذل أعداءه فى
الدارين ، وضرب عليهم الذلة والصغار ، وجعل عليهم الدائرة ،
فما لمن والاه وأعزه من مذل ، وما لمن عاداه وأذله من ولى ولا
نصير . السميع البصير لا كسمع ولا بصر أحد من الورى ،
القائل لموسى وهارون ﴿ إِنِّى مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٢) فمن
نفى عن الله ما وصف به نفسه أو شبه صفاته بصفات خلقه فقد
افترى على الله كذبا: ﴿ .. وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ (٣) ،

(١) الأنعام : ١٧ .

(٢) طه - من الآية : ٤٦ .

(٣) طه : من الآية : ٦١ .

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾^(١). الحكم العدل في قضائه وقدرته وشرعه وأحكامه قولاً وفعلاً : ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٢) فلا يحيف في حكمه ولا يجور . ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^(٣) الذي حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً ، ووعد الظالمين الوعيد الأكيد ، وفي الحديث : (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) ، ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ ﴾^(٤) ، وهو الذي يضع ﴿ ... الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُفْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾^(٥) بل يحصى عليهم الخردلة والذرة والفتيل والقطمير . (اللطيف) بعباده معافاة وإعانة وعفوا ورحمة وفضلاً وإحساناً ، ومن معاني لطفه : إدراك أسرار الأمور ؛ حيث أحاط بها خبرة وتفصيلاً .

(١) الأنعام : ١٠٣ .

(٢) هود ، من الآية : ٥٦ .

(٣) فصلت : من الآية ٤٦ .

(٤) هود : ١٠٢ .

(٥) الأنبياء : من الآية ٤٧ .

وسرا وإعلانا ، (الخبير) بأحوال مخلوقاته وأقوالهم وأفعالهم : ماذا عملوا ، وكيف عملوا ، وأين عملوا ، ومتى عملوا حقيقة وكيفية ومكانا وزمانا ، ﴿ .. إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ ^(١) . (الحليم) فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب ، بل يعاقبهم ويمهلهم ليتوبوا فيستوب عليهم ، إنه هو التواب الرحيم ، الذى اتصف بكل معنى يوجب التعظيم ، وهل تنبغى العظمة إلا لرب الأرباب ، الذى خضعت لعظمته وجبروته جميع العظماء ، وذلل لعزته وكبريائه كل كبير . (الغفور الشكور) الذى يغفر الكثير من الزلل ، ويقبل اليسير من صالح العمل ، فيضاعفه أضعافا كثيرة ، ويثيب عليه الثواب الجلل ، وكل هذا لأهل التوحيد . أما الشرك فلا يغفره ولا يقبل معه من العمل من قليل ولا كثير ، (العلى) الذى ثبت له كل معانى العلو ، علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات ، الذى استوى على عرشه وعلا على خلقه باثنا من جميع المخلوقات ،

(١) لقمان : من الآية ١٦ .

كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه ، وأخبر عنه رسوله ﷺ في
أصح الروايات، وأجمع على ذلك أهل الحل والعقد بلا نزاع بينهم
ولا نكير . (الكبير) الذى كل شيء دونه ، والأرض جميعا قبضته
يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، كما أخبر بذلك عن نفسه
نصا بينا محكما ، (الحفيظ) على كل شيء فلا يعزب عنه
مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء الذى ﴿ ... وَسِعَ
كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ (١) .
حفظ أوليائه فى الدنيا والآخرة ، ونجاهم من كل أمر خطير .
(المغيث) لجميع مخلوقاته ، فما استغاثه ملهوف إلا نجاه .
(الحسيب ، الوكيل) الذى ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه ، ولا
اعتصم به المؤمن إلا حفظه ووقاه ، ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٢) فنعم المولى ونعم النصير . (الجليل) الذى جل
عن كل نقص . واتصف بكل كمال وجلال ، (الجميل)
الذى له مطلق الجمال فى الذات والصفات والأسماء والأفعال ،

(١) البقرة : من الآية ٢٥٥ .

(٢) الطلاق ، من الآية : ٣

(الكريم) الذى لو أن أول الخلق وآ خرمهم وإنسهم وجنهم قاموا فى صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر ، كما روى عنه نبيه المصطفى المفضل - ﷺ - ومن كرمه أن يقابل الاساءة بالإحسان والذنب بالغفران ، ويقبل التوبة ويعفو عن التقصير . (الرقيب) على عباده بأعمالهم ، (العليم) بأقوالهم وأفعالهم ، (الكفيل) بأرزاقهم وآجالهم وإنشائهم ومآلهم ، (المجيب) لدعائهم وسؤالهم وإليه المصير (الواسع) الذى وسع كل شىء علمه ، ووسع خلقه برزقه ونعمته وعفوه ورحمته كرما وحلما ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ، ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١) . (الحكيم) فى خلقه وتدبيره إحكاما وإتقاناً ، والحكيم فى شرعه وقدره عدلا وإحسانا ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، ومن أكبر من الله شهادة وأوضح دليلا ، وأقوم برهاناً . فهو العدل وحكمه عدل وشرعه عدل وقضائه عدل ، فله الملك وله

(١) الأنعام : ١٠٣ .

الحمد وهو على كل شيء قدير . (الودود) الذى يحب أوليائه
ويحبونه كما أخبر عن نفسه فى محكم الآيات (المجيب) لدعوة
الداغى إذا دعاه فى أى مكان كان وفى أى وقت من الأوقات ،
فلا يشغله سمع عن سمع ولا تختلف عليه المطالب ولا تشتبه
عليه الأصوات ، فيكشف الغم ويذهب الهم ، ويفرج الكرب ،
ويستر العيب وهو الستير . (المجيد) الذى هو أهل الثناء كما مَجَّدَ
نفسه ، وهو المَجَّدُ على اختلاف الألسن وتباين اللغات بأنواع
التمجيد . (الباعث) الذى بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ؛
إنه الفعال لما يريد . (الشهيد) الذى هو أكبر من كل شيء
شهادة ، وكفى بالله شهيداً ، هو الحق وقوله الحق وله الملك يوم
ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير . (القوى
المتين) الذى لم يقم لقوته شيء ، وهو الشديد المحال ، الولي
للمؤمنين ، فلا غالب لمن تولاه ، وإذا أراد بقوم سوءاً فلا مرد له وما
لهم من دونه من وال (الحميد) الذى ثبت له جميع أنواع
المحامد ، وهل يثبت الحمد إلا لذى العزة والجلال ، فله الحمد
كما يقول وخيراً مما نقول ، ولا نحصى ثناء عليه ، هو كما أثنى

على نفسه ، وكيف يحصى العبد الضعيف ثناء على العلى الكبير .
(المحصى) الذى أحصى كل شيء عددا وهو القائل :

﴿ ... وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ ^(١) (المبدئ ،
المعبد) الذى قال وهو أصدق القائلين : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ ^(٣) وأنى يعجزه إعادته وقد
خلقه من قبل ولم يك شيئا ، كل يعلم ذلك ويقر به بلا نصير .
(المحصى المميت) الذى انفرد بالإحياء والإماتة فلو اجتمع الخلق
على إماتة نفس هو محيياها أو إحياء نفس هو مميتها لم يك ذلك
ممكنا ، وهل يقدر المخلوق الضعيف على دفع إرادة الخالق العلام ،
الحى الدائم الباقي الذى لا يموت وكل ما سواه زائل ، كما قال
تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ

(١) يس : من الآية ١٢ .

(٢) الأنبياء ، من الآية : ١٠٤

(٣) الروم ، من الآية : ٢٧

وَالْإِكْرَامِ ﴿١﴾ (القيوم) الذى قام بنفسه ولا قوام لخلقه إلا به ،
ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، فلا يحتاج إلى شريك له
فى إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وملكوته وجبروته وعظمته
وكبريائه وجلاله ، لا ضد له ولا ند ولا شبه ولا كفؤ ولا
عديل . (الصمد) الذى يصمد إليه جميع الخلائق فى حوائجهم
ومسائلهم ، فهو المقصود إليه فى الرغائب المستغاث به عند
المصائب ، فالإله منتهى الطلبات ، ومنه يُسأل قضاء الحاجات ،
وهو الذى لا تعتريه الآفات ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . فهو السيد
الذى قد كمل فى سؤده ، والعظيم الذى قد كمل فى عظمته ،
والحليم الذى قد كمل فى حلمه ، والعليم الذى قد كمل فى
علمه ، والحكيم الذى قد كمل فى حكمته ، وهو الذى قد
كمل فى صفات الكمال ، ولا تنبغى هذه الصفات لغير الملك
الجليل . (القادر المقتدر) الذى « إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ » (٢) ، وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا

(١) الرحمن : ٢٦ و ٢٧ .

(٢) مريم ، من الآية : ٣٥ .

فى والأرض إنه على كل شىء قدير . (المقدم المؤخر) بقدرته
 الشاملة ومشيئته النافذة على وفق ما قدره وسبق علمه وتمت به
 كلمته بلا تبديل ولا تغيير ، (الأول) فليس قبله شىء
 و(الآخر) فليس بعده شىء ، (والظاهر) فليس فوقه شىء ،
 (والباطن) فليس دونه شىء، هكذا فسرہ البشير النذير . - صلوات
 الله وسلامه عليه - (الولي) فلا منازع له ولا مضاد . (المتعالى)
 عن الشركاء والوزراء والنظرء والأنداد ، (البر) وصفا وفعلا ،
 ومن برّه المنّ على أوليائه بإنجائهم من عذابه كما وعدهم على
 ألسنة رسله ، إنه لا يخلف الميعاد ، (التواب) الذى يرزق من
 يشاء التوبة فيتوب عليه وينجيه من عذاب السعير . (المنتقم) الذى
 لم يقم لغضبه شىء وهو شديد العقاب والبطش والانتقام
 (العفو) بمنه وكرمه عن الذنوب والآثام ، (الرؤوف)
 بالمؤمنين ، ومن رأفته بهم أن نزل على عبده آيات مبينات
 ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ، ومن رأفته بهم أن
 اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مع كون الجميع ملكه
 ولم ينزع عنهم التوبة قبل الحمام ^(١) ، فقال تعالى :

(١) الحمام بكسر الحاء : أى الموت .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
 أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ .

(مالك الملك) يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ،
 ويعز من يشاء ويذل من يشاء . (ذي الجلال والإكرام)
 والعزة والبقاء ، والملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء ،
 (المقسط) الذى أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان
 ليقوم الناس بالقسط وما للظالمين من نصير . (الجامع) لشتات
 الأمور ، وهو جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف
 الميعاد ، (الغنى المغنى) فلا يحتاج إلى شيء ، ولا تزيد فى ملكه
 طاعة الطائعين ، ولا تنقصه معصية العاصين من العباد . وكل
 خلقه مفتقرون إليه لا غنى لهم عن بابه طرفه عين ، وهو الكفيل

(١) التحريم : ٨٠

بهم رعاية وكفاية ، وهو الكريم الجواد ، وبجوده عم جميع الأنام
 من طائع وعاص ، وقوى وضعيف ، وشكور وكفور ، وأمور
 وأمير. نور السموات والأرض ومن فيهن كما وصف نفسه بذلك
 فى كتابه ووصفه محمد عبده ورسوله وحبيبه ومصطفاه ، وقال
 ﷺ مستعيذا به : (أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ،
 وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة - أن يحل بى غضبك أو
 ينزل بى سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول
 ولا قوة إلا بالله) . فبصفات ربنا تعالى نؤمن ، ولكتابنا سنة
 ورسوله نحتكم ، وبحكمهما نرضى ونسلم ، وإن أبى الملحد إلا
 جحود ذلك وتأويله على ما يوافق هواه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ
 فِيْءِ آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَّ آمِنًا يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١)

(الهادى) الذى بيده الهداية والإضلال ، فلا هادى لمن أضل
 ولا مضل لمن هدى ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ

(١) فصلت : ٤٠ .

فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١﴾ ، ﴿٢﴾ ... مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ
وَمَنْ يَشَأِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣﴾ ، ﴿٤﴾ ... قُلْ إِنْ
هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى ﴿٥﴾ ، ﴿٦﴾ ... وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ
فِي اللَّهِ يَغْيِرْ عِلْمَ وَلَا هُدَى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٧﴾ (البديع) الذى
أبدع السموات والأرض وما بينهما بلطف صنعه وبديع حكمته
بلا معين ولا مثال ، (الباقي) الذى كل شيء هالك إلا وجهه
فلا ابتداء لأوليته ، ولا لآخريته زوال . (الوارث) الذى يرث
الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، وإليه المرجع والمآل ، فبإيجاده
كل موجود وجد وإليه كل الأمور تصير . (الرشيد) فى كل
أقواله وأفعاله ، فبالرشاد يأمر عباده ، وإليه يهديهم ، (الصبور) الذى
لا أحد أصبر منه على أذى سَمْعُهُ ، ينسبون له الولد ، ويجحدون
أن يعيدهم ويحييهم ، كل ذلك بسمعِهِ وبصرِهِ وعلمِهِ لا يخفى
عليه منهم شيء ، ثم هو يرزقهم ويعافيهم ، ذلك بأنهم لم يبلغوا

(١) الكهف : من الآية ١٧ .

(٢) الأنعام : من الآية ٣٩ .

(٣) البقرة : من الآية ١٢٠ .

(٤) لقمان : من الآية ٢٠ .

نفعه فينفعوه ، ولا ضرره فيضره ، وإنما يعود نفع طاعتهم إليهم ،
 ووبال عصيانهم عليهم ، واستغنى الله والله غنى جميد ، ﴿ زَعَمَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثَ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ
 اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١) .

* * فهكذا كما رأينا يكون التعرف على الله تبارك وتعالى
 من خلال آياته القرآنية وأحاديث حبيبه المصطفى صلوات الله
 وسلامه عليه ، الذي عرفه حق المعرفة ، فكان بسبب هذا أعظم
 عابد له سبحانه وتعالى وخير قدوة ﴿ ... لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
 وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢) . ولهذا كان لا بد أن يكون
 العبد الصالح على صلة مستمرة بكتاب الله وسنة رسوله ، حتى لا
 تنقطع صلته بهذا الإله العظيم الذي لا حول ولا قوة إلا به سبحانه
 وتعالى .

* وحسب هذا العبد الصالح كذلك إذا أراد أن ينمى معرفته
 بالله تعالى أن يكون من أولى الألباب المشار إليهم في قول الله تبارك

(١) التغابن: ٧٠ .

(٢) الأحزاب : من الآية ٢١ .

وتعالى : ﴿ إِنَّا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ. ﴿١٩١﴾ ثم يقولون :

﴿ .. رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢)

كهذا الرجل الموحّد الذی يقول :

تأمل سطور الكائنات فإنها

من الملاء الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها - لو قرأت سطورها -

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

* ويقول :

شردّ النوم عن جفونك وانظر

حكمة توقظ النفوس النياما

(١) آل عمران : ١٩٠ وجزء من الآية ١٩١

(٢) آل عمران : بقية الآية ١٩١ •

فحرام على امرئ لم يشاهد
حكمة الله أن يذوق المناما

* ويقول :

تبصر حيث كان لك التبصر
وفى ذات الإله دع التفكير
وإن ترد المهيمن حين تذكر
تأمل فى نبات الأرض وانظر
إلى آثار ما صنع المليك
فأنوار المهيمن ساطعات
وأفكار الخلائق حائرات
ولكن الأدلة واضحة
أصول من لجين^(١) زاهرات

(١) أى الفضة

على أغصانها ذهب سبيك
شموس في البرية مشرقات
نجوم في الدياجي لامعات
بطول الدهر دوماً سابحات
إلى مالمست أدري طائرات
يطير بها له الجرم السميك
رياض مონقات مننعات
وألوان لعينك مدهشات
وأغصان تسرك ناضرات
على قُضْب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك
* وما أروع قول الحكيم :
يقولون : أين الله ؟ أين بدائعه ؟
وذا الكون سفرٌ واضح وهو كتابه .

يَشْكُونُ وَالْإِيمَانُ مِلءُ قُلُوبِهِمْ
وَيُؤْنَدُونَ مَا تِلْكَ الْقُلُوبُ تُكَذِّبُهُ
وَأَيُّ أَمْرٍ فِي الْكَوْنِ يَرْسِلُ طَرْفَهُ
إِذَا مَا بَدَتْ أَقْمَارُهُ وَكَوَاكِبُهُ !
وَلَيْسَ يَقُولُ : اللَّهُ فِي عَرْشِ مَجْدِهِ
وَهَذِي حَوَاشِيهِ وَهَذِي مَوَاكِبُهُ !
وَأَيُّ أَمْرٍ مَا سَبَحَ اللَّهُ مَرَّةً
إِذَا رَاقِبَ الْأَزْهَارَ وَهِيَ تَرَاقِبُهُ !
عَجَائِبُ رَبِّي فِي الْأَنْعَامِ جَلِيلَةٌ
وَلَكِنْ جَهْلُ الْمَرْءِ لَا شَكَّ غَالِبُهُ !

* وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ فَهُوَ الْقَائِلُ :

﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ
يَأْكُلُونَ ﴾ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ
وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ

أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ
الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ الَّيْلُ نَسْلُخُ
مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا
ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ
كَالْعُرْجُونِ ^(١) الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا
الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٢﴾

* وقد ورد :

(حسبكم الكون معجزة . انظروا إلى الأرض فهي من
عجائب صنع الله ، وآية على وجوده وعظمته ، خلقها لكم
وسلك لكم فيها سبلا ، تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه ،
ثم انظروا إلى السحاب المسير في الآفاق يسح ^(٣) بمائه فيحيى
أرضا مواتا ، ويخرج منها زرعا ونخيلا وأعنابا ، ثم انظروا إلى
الأنعام خلقها لكم تجعل المرعى لبنا سائغا للشاربين ، ثم انظروا

(١) العرجون : شمراخ البلح •

(٢) سورة يس : ٣٣ - ٤٠ •

(٣) السح : الصب والسيلان من فوق •

فى أنفسكم فإنكم معجزة : لقد كنتم صغارا ، ومن قبل لم تكونوا
شيئا مذكورا ، ثم وهب لكم الله العقل والقوة والجمال والرحمة ،
أشرف الصفات) .

* ومن أجمل ماقرأت فى هذا كذلك تحت عنوان ^(١) :

من دلائل قدرة الله

قصيدة لفضيلة الأستاذ الشيخ الصاوى شعلان - رحمه الله
تعالى - يقول فيها مشيرا إلى عظمة الخالق سبحانه وتعالى وتمس
شغاف قلوب المؤمنين الموحدين :

نشر الصبح على الديننا سناه

وسقى الروض رحيقا من نداءه

واكتسى الروض من النور حلاه

الندى من فيض مَنْ ؟

والضحى من نور مَنْ ؟

* * *

(١) فى كتاب : مع الله ، نظرات فى الكون والحياة ، للاستاذ عبد الجواد

رجب ٠٠ طبعة دار الاعتصام

أقبلت فى بَسْمَةِ الفجر الطيورُ
تسكب الألحان عطرًا فى الزهورُ
تصنع العش وتسمى فى البكور
عيشها فى رزق مَنْ !؟
وهى أيضا صنع مَنْ !؟

* * *

حوت الأرض أفانين الشجرُ
بين ألوان وطول وقصر !!
وغصون مورقات وثمرُ
منبت الأشجار مَنْ !؟
راسم الألوان مَنْ !؟

* * *

وترى الشمس عروس المشرق
وجمال البدر عند الأفقِ

مأبحا في الطيلسان الأزرقِ

الدرارى صمغ مَنْ ١٢

والسموات لمن ١٢

* * *

داعب النحل من الزهر شذاه

وأحال الورد شهدا في رُباه ١١

وبنت هندسة النمل قرأه

مُرَشِدُ النحلة مَنْ ١٢

مُلْهِمُ النملة مَنْ ١٢

* * *

الجنينُ استقبل الرزقَ الجديدُ ١٢

وتوالى وهو في المهد السعيدُ !

قبل أن تثبت أسنان الوليدُ

أطعمته يد مَنْ ؟!

صَوَّرَتْهُ يد مَنْ ؟!

* * *

لم يا مخلوق آثرت الجحود ؟!

كُنْتُ معدوماً فَمِنْ أَيْنَ الوجود ؟!

أَهْيَ الصَّدْفَةُ أم رَبِّ ودود

قبله فى الكون مَنْ ؟!

بعده فى الملك مَنْ ؟!

* * *

لو تناهيتم إلى سر الحياة

وصنعتكم كائنا حياناً نراه !!

لم نزد إلا يقيناً بالإله

* * ومن أجمال ما قرأت كذلك حول موضوع :

البراهين الدالة على وجود الخالق سبحانه وتعالى

ما قاله صاحب كتاب (معارج القبول) حول « إثبات ذات السرب جل وعلا » حيث يقول : فإن هذه العوالم العلويات والسفليات لا بد لها من موجد أوجدها ويتصرف فيها ويدبرها . ومحال أن توجد بدون مُوجد ، ومحال أن توجد أنفُسها . قال الله تبارك وتعالى في مقام إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية :

* ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿ ١ ﴾

قال ابن عباس رضى الله عنهما : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ أى : من غير رب ، ومعناه : أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق ، وذلك مما لا يجوز أن يكون ؛ لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم ، فلا بد له من خالق ، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق ﴿ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ لأنفسهم ،

(١) الطور : ٣٥ و ٣٦ .

وذلك فى البطلان أشد ؛ لأن ما لا وجود له كيف يخلق ؟ فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ وهذا فى البطلان أشد وأشد ؛ فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يوجد بنفسه ، فضلا عن أن يكون مُوجداً لغيره ، وهذا إنكار عليهم فى شركهم بالله عزوجل وهم يعلمون أنه الخالق لا شريك له ﴿ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴾ أى : ولكن عدم إيقانهم هو الذى يحملهم على ذلك .

* وعن جبیر بن مطعم رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ فى المغرب ^(١) بالطور ، فلما بلغ هذه الآية : ﴿ أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ^{٣٥} أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴾ ^{٣٦} أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ ﴾ ^(٢) - كاد قلبى أن يطير . (أخرجاه فى الصحيحين) .

وكثيرا ما يرشد الله تبارك وتعالى عباده إلى الاستدلال على

(١) أى فى صلاة المغرب .

(٢) الطور ٣٥ - ٣٧

معرفته بآياته الظاهرة من المخلوقات العلوية والسفلية كما قال تعالى :

* ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ ^(١) ، أى : فيها

من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة ، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والوهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار ، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم ، وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى ، وما بينهم من التفاوت فى العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة ، وما فى تركيبهم من الحكم فى وضع كل عضو من أعضائهم فى المحل الذى هو محتاج إليه فيه ؛ لهذا قال الله عزوجل :

* ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ^(٢) ، قال قتادة : من

تفكر فى خلق نفسه علم أنه إنما لينت مفاصله للعبادة ، وكذا فى ابتداء الإنسان من الآيات العظيمة ؛ إذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما إلى نفخ الروح فيه . وقال تعالى :

* ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ ^(٣) وَالْأَرْضَ

(١) الذاريات : ٢٠

(٢) الذاريات : ٢١

فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَهْدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ يقول الله تعالى منبها على خلق العالم العلوى
والسفلى: (وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا) أى جعلناها سقفا محفوظا رفيعا
(بأيد) أى بقوة ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثورى وغير
واحد ، (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) ، قال ابن عباس رضى الله عنهما :
لقادرون ، وعنه أيضا : لموسعون الرزق على خلقنا . وقيل :
ذوسعة . وقال ابن كثير : أى قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير
عمد حتى استقامت كما هى . (وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا) أى
جعلناها فراشا للمخلوقات ، (فَنِعْمَ الْمَهْدُونَ) الباسطون نحن .
قال ابن عباس : نعم ما وطأت لعبادى . (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا
زَوْجَيْنِ) صنفين ونوعين مختلفين كالسمااء والأرض ، والشمس
والقمر ، والليل والنهار ، والبر والبحر ، والسهل والجبل ، والشتاء
والصيف ، والجن والإنس ، والذكر والأنثى ، والنور والظلمة ،
والإيمان والكفر ، والسعادة والشقاوة ، والجنة والنار ، والحق
والباطل ، والحلو والمر ، والدنيا والآخرة ، والموت والحياة ، والجامد

(١) الفاريات : ٤٧ - ٤٩

والنامى ، والمتحرك والساكن ، والحر والبرد ، وغير ذلك . (لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ) أى لتعلموا أن الخالق واحد فرد لا شريك له . هـ ابن
كثير والبعوى .

وقال تعالى : * ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ
النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) . قال أبو
الضحى : لما نزلت : (وَلِلَّهِ كُزَّةٌ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ ^(٢)) قال المشركون : إن كان هكذا فليأتنا بآية ، فأنزل الله
عز وجل : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ تلك فى
ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ، ودوران
فلكها ، وهذه الأرض فى كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها
وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع « واختلاف الليل
والنهار » هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ، ويعقبه ولا يتأخر
عنه لحظة كما قال تعالى :

(١) البقرة : ١٦٤

(٢) البقرة : ١٦٣

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْاَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ
وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(١) ، وتارة يطول هذا ، ويقصر هذا ،
وتارة يأخذ هذا من هذا ، ثم يتعاضدان ، كما قال تعالى :
﴿ يُوَلِّجُ الْاَيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي الْاَيْلِ ... ﴾^(٢) أى
يزيد من هذا فى هذا ، ومن هذا فى هذا (وَالْفَلَكَ اَلَّتِى تَجْرِى فِي
اَلْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ) أى فى تسخير البحر بحمل السفن من
جانب إلى جانب لمعيش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم
ونقل هذا إلى هؤلاء . ﴿ وَمَا أَنْزَلَ اَللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ
فَأَحْيَا بِهِ اَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾^(٣) كما قال تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ
اَلْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾^(٤) . إلى
قوله : ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٥) ﴿ وَبَيَّتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾^(٦)
على اختلاف أشكالها وأنواعها وألوانها ومنافعها وصفرها وكبرها ،

(١) سورة يس : ٤٠

(٢) الحديد : من الآية ٦ .

(٣) البقرة - من الآية : ١٦٤ .

(٤، ٥) سورة يس : ٣٣ - ٣٦ .

(٦) البقرة - من الآية : ١٦٤ .

وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك كما قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ^(١) . (وتصريف الرياح) فتارة تأتي بالرحمة ، وتارة تأتي بالعذاب وهي الريح ، وتارة تأتي مبشرات بين يدي السحاب ، وتارة تسوقها ، وتارة تجمعه ، وتارة تفرقه ، وتارة تصرفه ، ثم تارة تأتي من الشمال وهي الشامية ، وتارة تأتي من ناحية اليمن ، وتارة صَبَاً وهي الشرقية ، وتارة دبوراً وهي غربية وغير ذلك والله أعلم ﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ أى سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشاء الله من الأراضى والأماكن كما يصرفه تعالى . ﴿ لَا يَكُنْ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ أى فى هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية الله تعالى (لقوم يعقلون) فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً غنيا بذاته ، وكل ما سواه فقير إليه ، قائماً بذاته ، وكل ما سواه عاجز لا قدرة له إلا بما أقدره ، متصفا بجميع صفات الكمال ، وكل ما سواه ملازمه النقص ، وليس الكمال المطلق إلا له ، وهو

(١) هود : ٦ .

الله تبارك وتعالى . وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافَ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ ﴾ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿ (١)

يقول تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ) الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب (ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين ، ثم تصور فكان علقه ، ثم مضغة ، ثم صار عظاما شكله شكل إنسان ، ثم كسا الله تعالى تلك العظام لحما ، ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير ، ثم

أُخْرِجَ مِنْ بطن أمه صغيراً ضعيف القوى والحركة ، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار يبنى المدائن والحصون ، ويسافر في أقطار الأقاليم ويركب متن البحور ، ويدور أقطار الأرض ، ويكتسب ويجمع الأموال ، وله فكرة وغور ودهاء ومكر ، ورأى وعلم ، واتساع في أمور الدنيا والآخرة ، كل بحسبه ، فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعاش والمكاسب وفاوت بينهم في العلوم والفكر ، والحسن والقبح ، والغنى والفقر ، والسعادة والشقاوة .

* وعن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، والسهل والحزن وغير ذلك) رواه أحمد وأبو داود والترمذى . وقال حسن صحيح .
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أى خلق من جنسكم إناثا تكون لكم أزواجا ﴿ لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ كما قال

تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾^(١). يعنى بذلك حواء خلقها الله تعالى من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر ، ولو أنه تعالى جعل بنى آدم كلهم ذكورا وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان - لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج ، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس ، ثم من تمام رحمته بينى آدم أن جعل الأزواج من جنسهم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً﴾ وهى المحبة ﴿وَرَحْمَةً﴾ وهى الرأفة ، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبة لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه فى الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فى عظمة الله وقدرته ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على قدرته العظيمة ﴿خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى خلق السموات فى ارتفاعها واتساعها وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات ، وخلق الأرض فى انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال وأودية وبحار وقفار وحيوان وأشجار . ﴿وَأَخْلَقَ السِّنِينَ﴾ يعنى اللغات ، فهؤلاء بلغة العرب ، وهؤلاء لهم لغة

(١) الأعراف : من الآية ١٨٩ .

أخرى ، وهؤلاء كرج ، وهؤلاء روم ، وهؤلاء إفرنج ، وهؤلاء
بربر ، وهؤلاء حبشة ، وهؤلاء هنود ، وهؤلاء فرس ، وهؤلاء
صقالبة ، وهؤلاء خزر ، وهؤلاء أرمن ، وهؤلاء أكراد ، إلى غير
ذلك مما لا يعلمه إلا الله عزوجل من اختلاف لغات بني
آدم ﴿وَالْوَنُكُمُ﴾ أى واختلاف ألوانكم أبيض وأسود وأحمر ،
وأنتم أولاد رجل واحد ، وامرأة واحدة ، وغير ذلك من اختلاف
الصفات والحلى ، لجميع أهل الأرض ، بل أهل الدنيا منذ خلق
الله آدم إلى قيام الساعة ، كُلُّ له عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم
وخدان ، وليس يشبه واحد منهم الآخر ، بل لابد أن يفارقه بشيء
من السمات أو الهيئة أو الكلام ظاهرا كان أو خفيا يظهر عند التأمل ،
كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئته لا تشبه أخرى ، ولو توافق
جماعة فى صفة من جمال وقبح لا بد من فارق بين كل واحد
منهم وبين الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ ٢٢٢ وَمِنْ آيَاتِهِ
مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآبِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ﴿ أى ومن الآيات
ما جعل الله من صفة النوم فى الليل فإنه فيه تحصل الراحة وسكون
الحركة وذهاب الكلام والتعب ، وجعل لكم الانتشار والسعى فى
الأسباب والأسفار فى النهار وهذا ضد النوم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١﴾ سماع تدبر واعتبار . ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على عظمته أنه ﴿يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أى تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة وصواعق متلفة ، وتارة ترجون وميضه وما يأتى بعده من المطر المحتاج إليه ، ولهذا قال تعالى : ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أى بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شىء فلما جاءها الماء ﴿أَهْرَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ﴾ (١) . وفى ذلك عبرة ودلالة واضحة على الميعاد وقيام الساعة ؛ ولهذا قال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ كقوله تعالى : ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (٢) . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (٣) . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا اجتهد فى اليمين قال : (والذى قامت السموات والأرض بأمره) أى هى قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيرها إياها ، ثم إذا كان يوم القيامة بدلت

(١) الحج : من الآية ٥ .

(٢) الحج : من الآية ٦٥ .

(٣) فاطر : من الآية ٤١ .

الأرض غير الأرض والسموات ، وخرجت الأموات من قبورها أحياء
 بأمره تعالى ودعائه إياهم ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
 دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ أى من الأرض . كما
 قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ لِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِن
 لَّيْسَ إِلَٰهٌ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ فَأَنمَاهِي زَجْرَةً وَبَعْدَةً ^(٢)
 فَلَمَّا ذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
 وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ ^(٤) والآيات فى هذا
 الباب العظيم من الاستدلال بال مخلوقات على وجود خالقها وقدرته
 وعظمته أكثر من أن تُحصى وأجل من أن تُستقصى ، وفيما
 ذكرنا كفاية وغنى عن خلط المناطقة ومقدماتهم ونتائجهم
 وتناقضهم فيها ، والله تبارك وتعالى أعلى وأكبر وأجل وأعظم من
 أن يحتاج فى معرفة وجوده إلى شواهد واستدلالات ، فذات المخلوق
 نفسه شاهدة بوجود خالقه ، حيث أوجده ولم يك من قبل شيئا ،
 فلم يذهب يستدل بغيره وفى نفسه الآية الكبرى والبرهان الأعظم ؟

(١) الإسراء : ٥٢ •

(٢) النازعات : ١٣ و ١٤

(٣) يس : ٥٣

وشأن الله تعالى أكبر من ذلك، ولم يجحد وجوده تعالى من جحده من أعدائه إلا على سبيل المكابرة ؛ ولهذا قال تعالى فى كفرهم بآياته : ﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأُتِيَقِنْتَهَا أَنْفُسُكُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا ﴾ (١) . فكيف بوجود الخالق تبارك وتعالى . ولهذا لما قال أعداء الله لرسله على سبيل المكابرة لما جاءوهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا : ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝١ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ (٢) . وهذا يحتمل شيئين : أحدهما أفى وجوده تعالى شك ، فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به ، فإن الاعتراف به ضرورى فى الفطر السليمة ، ولكن قد يعرض لغيرها شك واضطراب ، وأكثر ذلك على سبيل المكابرة والاستهزاء، فيجب إقامة الحجة عليهم للإعذار إليهم ؛ ولهذا قالت لهم رسلهم ترشدكم إلى طريق معرفته فقالوا : (فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) الذى خلقها وابتدعها على غير مثال سبق ، فإن شواهد

(١) النمل : من الآية ١٤ .

(٢) إبراهيم : آخر الآية ٩ وصدر الآية ١٠ .

الحدوث والخلق والتسخير ظاهرة عليهما فلا بد لهما من خالق ، وهو الله الذى لا إله إلا هو خالق كل شىء ومليكه ، والمعنى الثانى فى قولهم (أفى الله شك) أى أفى إلهيته وتفرد به بوجوب العبادة له شك ، وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له ؟ فإن غالب الأمم كانت مُقرّةً بالخالق ، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التى يظنونها تنفعهم أو تقربهم ، والجواب لهذا الاستفهام على كلا المعنيين : لا ، أى لا شك فيه .

* * وقد نقل عن الأئمة وعن غيرهم فى هذا الباب :

* عن الإمام مالك رحمه الله تعالى : أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنعومات .

* وعن أبى حنيفة رحمه الله تعالى أن بعض الزنادقة سأله عن وجود البارى تبارك وتعالى فقال لهم : دعونى فإنى مفكر فى أمر قد أخبرت عنه ، ذكروا لى أن سفينة فى البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها ، وهى مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها ، وتخرق الأمواج العظام حتى تخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد . فقالوا :

هذا شيء لا يقوله عاقل . فقال : وَيَحْكُمُ !! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوى والسفلى وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع ؟ فُبْهَتَ القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه .

* وعن الشافعى رحمه الله تعالى أنه سئل عن وجود الخالق عز وجل ، فقال : هذا ورق التوت طَعَّمَهُ واحد ، تأكله الدود فيخرج منه الإبريسيم^(١) ، وتأكله النحل فيخرج منه العسل ، وتأكله الشاء والبقر والأنعام فتلقيه بعرا وروثا ، وتأكله الطبء فيخرج منه المسك . وهو شيء واحد .

* وعن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه سئل عن ذلك فقال : هاهنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ، ظاهره كالفضة البيضاء ، وباطنه كالذهب الإبريز ، فبينما هو كذلك إذ تصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح اهـ يعنى بذلك البيضة إذا خرج منها الديك .

(١) أى الحرير .

* وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد :

تأملُ في رياض الأرض وانظرُ
إلى آثار ما صنع المليكُ
عيون من لجينٍ شاخصات
بأحداق هي الذهب السبيكُ
على قُضْب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

* وقال ابن المعتز ، ويروى لأبي العتاهية - رحمهما الله
تعالى :

فيا عجباً كيف يعصى إلا لـ
ه أم كيف يجحده الجاحدُ ؟
ولله في كل تحريكة
وفي كل تسكينة شاهدُ

وفى كل شيء له آية

تدل على أنه الواحدُ

* وسئل بعض الأعراب عن هذا وما الدليل على وجود الرب تعالى ، فقال : ياسبحان الله ، إن البعر يدل على البعير ، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟

* ومن خطب قس بن ساعدة الإيادي - رحمه الله - وكان على ملة إبراهيم عليه السلام : أيها الناس اجتمعوا فاسمعوا وإذا سمعتم فعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، وقولوا - أو إذا قلتم - فاصدقوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات ، وأحياء وأموات ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وضوء وظلام ، وليل وأيام ، وبر وآثام ، إن فى السماء خبراً وإن فى الأرض عبرا يحار فيهن البصير ، مهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تغور ، وبحار لا تغور ، ومنايا دوان ، ودهر خوان ، كحد الفسطاس ووزن القسطاس .

أقسم قس قسماً ، لا كاذبا فيه ولا آثما : لعن كان فى هذا الأمر

رضاً ليكونن سخط ، ثم قال : أيها الناس ، إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه ، وهذا زمانه وأوانه . ثم قال : مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا ؟

وفى بعض ألفاظها قال : شرق وغرب ، يتم وخرب ، وسلم وحرب ، ويابس ورطب ، وأجاج وعذب ، وشموس وأقمار ، ورياح وأمطار ، وليل ونهار ، وإناث وذكور ، وبرار وبحور ، وحب ونبات ، وآباء وأمهات ، وجمع وأشتات ، وآيات فى إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسر وإعدام ، ورب وأصنام ، لقد ضل الأنام ، نشء مولود ، ووآد معقود ، وتربية محصود ، وفقير وغنى ، ومحسن ومسىء ، تبا لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل عمله ، وليفقدن الآمل أمله ، كلا بل إله واحد ليس بمولود ولا والد ، وأعاد وأبدى ، وأمات وأحيا ، وخلق الذكر والأنثى ، رب الآخرة والأولى ، أما بعد فيا معشر إباد ، أين ثمود وعاد ؟ وأين الآباء والأجداد ؟ وأين العليل والعواد ؟ كل له معاد . يقسم قس برب العباد ، وساطح المهاد ، لتحشرن على الأفراد ، فى يوم التناد ، وإذا نفخ فى

الصور ، ونَقَرَ فى الناقور ، ووعظ الواعظ ، فانتبذ القانط وأبصر
 اللا حظ فويل لمن صدف عن الحق الأشهر ، والنور الأزهر ،
 والعرض الأكبر ، فى يوم الفصل ، وميزان العدل ، إذا حكم
 القدير ، وشهد النذير ، وبعد النصير ، وظهر التقصير ، فريق فى
 الجنة وفريق فى السعير .

* وهذا كسرى أنوشروان ملك الفرس يقول وقد صفت
 نفسه ، وأشرق فكره يخاطب الْفَلَكَ : إن بناء أنت سَقْفُهُ لعظيم ،
 وإن بيتا أنت غطاؤه لجليل ، وإن شيئا أنت تظلمه لكبير ، وإن فيك
 عجبا للمتعجبين ، فليت شعرى ، أَعَلَى عَمَدٍ من تحتك
 تستمسك ، أم بمعاليق من فوقك ؟ ولعمري إن مَلِكاً أمسكتك
 قدرته للملك عظيم ، وإنه فى استدارتك بتقديره لحكيم خبير ، وإن
 من غفل عن التفكير فى هذه العظمة لَغَرٌ صغير . وليت شعرى :
 أيتها الأفلاك : بم طلوعك حين تطلعين ؟ وبم مسيرك حين
 تسيرين ؟ وأقولك حين تأفلين ؟ وعلام سقوطك حين تغيبين ؟ !!
 ليت شعرى ، أساكنة أم تتحركين ، أم كيف صفتك التى بها
 تتصفين ، ولونك الذى به تتسمين ؟ ومن سماك بأسمائك التى
 بها تعرفين ؟!

فسبحان من لأمره تنقادين ، وبمشيئته تجرّين ، وبصنعتة استقامتك حين تستقيمين ، ورجوعك حين ترجعين) .

* ولله در الشاعر الأزهرى الشيخ محمد الأسمر رحمه الله تعالى ، فلقد قال كلاما يكتب بمداد من الذهب على صحائف من نور ، إن دل على شئء فإنما يدل على أن الرجل كان موحدا ، وكان من الذين عرفوا الله تبارك وتعالى حق المعرفة ، وفيه يقول مناجيا ربه سبحانه وتعالى ومثنيا عليه — :

« تعاليت يارب ما أجلك ، خلقت الخلق ، وأجريت الرزق ، بك ينمو الزرع ، ويدبر الضرع ، سبحانه اللهم ما أوسع ملكك ، وما أعظم سلطانك ، السماء والأرض لك ، والملائكة الأطهار جندك ، والملوك المتوجون عبيدك ، تبارك وتعاليت ، صنعت فأعجزت ، وصورت فأحسنيت ، الجن والإنس خلقك ، والجسم والروح عملك ، لا إله إلا أنت ، منحنتنا بصائر لا تنكرك ، وأبصارا لا تدركك ، يسبح الرعد بحمديك ، ويطرّم الطائر بمجديك ، البحار لا تفر من خشيتك ، والجبال جامدة من هيبتك ، ولقد جرى النسيم بلطفك ، وتقلب

كل مخلوق فى رحمتك ، تباركت تباركت ، لا أول قبلك ، ولا آخر بعدك ، كيف تخفى والشمس بعض بيناتك ؟ وكيف تدرك والروح بعض أسرارك ؟ ، فأنت الأول والآخر والظاهر والباطن ، تعاليت تعاليت ، آمن بك المؤمن ولم يرك ، وجحدك الجاحد ووجوده شاهد بوجودك ، سبحانك سبحانك ، بهرتنا آلاؤك ، وغاب عنا لألاؤك ، ماء وحجر ، وأرض وقمر ، وزاحف وطيائر ، وصادح وباغم ، أنبت لنا من الأرض عجبا : نخيل وأشجار ، وأزاهير وثمار ، رب ، من أين للورد شذاه ؟ ومن أين للغصن عوده ولحاه ؟ ومن أين للثمار طعومها المختلفة ، وأشكالها المتباينة ، وألوانها المتغيرة ؟ ، من أين كل هذا يارب ؟ سائغ وغير سائغ ، وناصع وفاقع ، تباركت مخرج الخضراء من الغبراء ، وخالق العجب من طين وماء . سبحانك اللهم سبحانك ، جلّت عظمتك ، وتعالّت قدرتك ، أعجزت الإنسان بالجبال والنمال ، بل أعجزت الإنسان بذات الإنسان ، عظم ولحم ، وعروق ودم ، وظفر وشعر ، وسمع وبصر ، قلت للسان ذق وهو لحمة فذاق ، وقلت للعين أبصرى وهى شحمة فأبصرت ، سبحانك اللهم ، وهذا

القلب الخافق بم يخفق؟! أشهد أن لا إله إلا أنت رب المشارق
والمغرب ، والنجوم والكواكب ، تباعدت فهي منفصلة ، وتجاذبت
فهي متصلة ، عجزت عقولنا عن الإحاطة ببعض ما خلقت فكيف
تخيّل بك ؟ سبحانك سبحانك ! هذه دنياك فكيف آخرتك ؟
وهذا شأن آثارك فكيف شأنك ؟ تباركت من إله صادق ، وتعاليت
من رب حق . »

نعم ، هذا هو الإله العظيم الذى لا شك فى وجوده ، والذى
لن نستطيع أبداً أن نحصى نعمه أو نعدد آثاره علينا وعلى غيرنا من
المخلوقات الأخرى التى جميعها تسبح بحمده سبحانه وتعالى .

تالله لو سجدنا بالعيون له

على شبا^(١) الشوك والمحى من الإبر

لم نبلغ العُشرَ من معْشَرِ نعمته

ولا العُشِيرَ ولا جزءاً من العُشرِ

لأنه الرب العظيم ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿۝﴾

(١) شبا الشوك : أطرافه .

وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿١﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿١﴾ .

ولهذا كان من الخير لكل إنسان عاقل - ذكرنا كان أم أنثى - أن يكون على صلة بهذا الإله الخالق البارئ المصور الذى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون ، والذى ﴿ .. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢﴾

وذلك بالإكثار من ذكره سبحانه وتعالى ؛ لأن الذكر الصحيح هو أقرب الطرق إلى الله تبارك تعالى ؛ ففي القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى :

* ﴿ فَادْكُرُونِي ، أَدْكُرْكُمْ ... ﴾ (٣)

وقد ورد فى حديث صحيح متفق عليه :

* عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
(يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بى ، وأنا معه إذا

(١) سورة الأعلى : ٢-٥

(٢) الشورى : من الآية ١١

(٣) البقرة : من الآية ١٥٢ .

ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى مالأ^(١) ذكرته فى مالأ^(٢) خير منهم .

* وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
(ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها^(٣) عند مليكم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟) قالوا : بلى ، قال : (ذكّر الله تعالى) رواه الترمذى ، قال الحاكم أبو عبد الله : إسناده صحيح .

* وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه أن رجلا قال يارسول الله : إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشيء أتشبه به^(٤) ، قال : (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن .

(١) جماعة الذاكرين .

(٢) أى الملازمة .

(٣) أى أطهرها وأكثرها ثوابا .

(٤) أى اعتصم حقيقة به أو مجازا .

فاذكر كل هذا - أنا الإسلام - مع ملاحظة ما جاء في هذه
النصيحة التي يقول فيها الشيخ محمد محرم العمروسي رحمه الله
مرشدا إيانا نحن الذاكرين - إن شاء الله - إلى أكمل الحالات:

تمسك بجبل الشرع واضرب بسيفه

رءوس المعاصي واتخذ منه جوشنا

وبادر إلى إنكار ما كان خارجا

عن الحق واحذر أن تكون مداهنا

ولا تجعل الذكر النفيس وسيلة

إلى عرض الدنيا المعرض للفنا

ولا تجعل المقصود منه تكسبا

فتنحط قدرا من علاك وتفتنا

ولا تتخذ الرياسة سلما

فتغضب مربويا وربا مهيمنا

وتأتى ما تأتى رياءً وسُمةً
وتتخذ الشرك الخفى تديناً
وليست بإرخاء الشعور ولا ية
إذا كان منك القلب أسود عاطنا
وليست بإظهار التباله خدعة
إذا كان فيك الغش والمكر كامنا
وغير مفيد لبس تاج وخيرقة
إذا كان إبليس بجسمك ساكنا
فوحدهوى ليلى لتحظى بوصلها
وترقى بلقيها وتظفر بالمنى
ومادمت مأسورا لنفسك والهوى
فمازلت فى سجن القطيعة قاطنا
فطلق - هداك الله - نفسا خمونة
طلاقا صريحا بالثلاثة بائنا

فما هي إلا ذات سُم مُخْبَأ
 وأعدى عدو في الحشأ متوطنا
 وإلأفدع دعوى الصلاخ ولا تكن
 بغير فلاح للولاية معلنا
 وخل مقامات الرجال لأهلها
 وعش خاليا فالحب راحتنا
 فيا فقراء الوقت مالى أراكمو
 أتيتم أمورا لا تحل بشرعنا
 فكم بدع أحدثتموها بجهلكم
 وصرتم عليها عاكفين ليومنا
 جعلتم طريق القوم رقصا وصيحة
 ومنكر أصوات يهيج للغنا
 وملء بطون من غذا لم يفد سوى
 تجششكم - ياقوم - حول بيوتنا

وتحصيل أرزاق وضرب عوائد
 على الناس تأبأها قواعدُ ديننا
 وحرفتمو التهليل عن وضعه الذى
 أتانا به التنزيل من عند ربنا
 وطرقتمو فيه طرائق لم يكن
 عليها رسول الله والقوم قبلنا
 أكان رسول الله يصحب منشدا
 ينادى بأعلى الصوت ليلا مُدِنًا
 فما زدتمو المردانَ إلا تمرُّدًا
 وما زدتمو الشيطانَ إلا تشيطنًا
 وما زدتمو الجهالَ إلا جهالة
 وبعدا عن الأخرى وقربا إلى الدُّنَا
 فكن عالما بالشرع واعمل به فَمَنْ
 أراد طريقا دون علم فقد جَنَى

ولا ينبغي للجاهلين تصدر
ولا نشر أعلام الشريعة بيننا
ألم يعلموا أن الطريق كناية
عن العمل الجارى على وفق شرعنا
وذبح النفوس الضاريات بمُدَّة
من الخلق حتى لا تميل إلى الخنا
وزهد عن الدنيا وعن شهواتها
وعمن يراها أكبر الهم مُقْتَنَى
وجوع وصمت واعتزال وفكرة
بها حضرة الرحمن تدخل آمنا
وذكر بنار الشوق يحرق خاطرا
ويغرق فى بحر المدامع أعينا
يكون بجد واجتهاد وهمة
مُشَمَّرَةٌ لا بالتكاسل والونى

وعلم وحلم واقتداء بعارف
 دسائس للشيطان والنفس والدُّنَا
 فمن لم يصاحب شيخَ صدق ومُخلصاً
 يكون له الشيطان شيخاً ملقناً
 فَأَخْلَصْ - هداك الله - تخلص فهذه
 طريقتنا الغراء دانية الجنى

* * فافهم هذه النصيحة - أخا الإسلام - وذكر بها هؤلاء
 الأدعياء الذين يزعمون أنهم من أهل الطريق السوى وهم فى
 الحقيقة من أهل الطرق الأخرى التى لا توصل إلا إلى النار ؛ لأنها
 تخالف شرع الله ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (١).
 * وقد قرأت أن سيدى إبراهيم الدسوقى - رحمه الله تعالى -
 كان إذا أخذ العهد على فقير يقول له : يا فلان اسلك طريق
 النسك على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، وإقام الصلاة وإيتاء
 الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج إلى بيت الله الحرام ، واتباع جميع

(١) الكهف ، من الآية : ١٠٤ .

الأوامر المشروعة والأخبار المرضية والاشتغال بطاعة الله تعالى قولاً
وفعلًا واعتقادًا ، ولا تنظرياً ولدى إلى زخارف الدنيا ومطاياها
وقماشها ورياشها وحظوظها ، واتبع نبيك محمداً ﷺ في أخلاقه ،
فإن لم تستطع فاتبع شيخك ، فإن نزلت عن ذلك هلكت مع
الهالكين .

* وكان الجنيد - رحمه الله تعالى - يقول : من لم يسمع
الحديث ويجالس الفقهاء يأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد من أتبعه ..
وكان يقول : علمنا هذا بمقتد بالكتاب والسنة ..

* ولله در شيخنا وإمامنا الشيخ محمود خطاب السبكي -
رحمه الله تعالى - فلقد قال في كتابه : (المقامات العلية) كلاماً
هاماً ، جاء فيه :

اعمل بأثار النبي فإنها النور المبين
واقبل نصيحتها ففيها العز والشرف المكين
واشدد يمينك بالشرعية إنها السبب المتين

❖❖ فلاحظ كل هذا - أننا الإسلام - وقل لهؤلاء المبتدعين
الضالين المضلين الذين يرقصون ويطلبون ويزمرون بدعوى أنهم
يذكرون:

ليس التصوف بُسَّ الصوف ترقعه

ولا اهـتزازاً إذا غَنَّى المغنُّونا

بل التصوفُ أن تصفو بلا كدر

وتتقى الله والقرآن والدِّينا

❖❖ هذا ، وإذا كان لنا بعد هذا التقديم الذى كان لابد منه
حتى نتعرف من خلاله على عظمة الخالق سبحانه وتعالى ونعرف
الأدلة النقلية والعقلية على وجوده من خلال آياته البينات التى من
أهمها أنفسنا ، فهى من أكبر الأدلة الباهرة على وجود الخالق
المبدع سبحانه تعالى :

أريد بعد كل هذا ، وقبل أن ننتقل إلى (موضوع الكتاب)
وهو : الواجب ، والمستحيل ، والجائز فى حق الله تبارك وتعالى -

أن نقف على بعض الملاحظات الهامة المتعلقة بهذا الموضوع ،
وهي (١)

حقيقة المعرفة والتقليد والدليل

فأما المعرفة فهي : (إدراك جازم مطابق للواقع ناشئ عن دليل)
كاعتقاد من توصل بالدليل إلى أن البعث حق (فإدراك) جنس
يشمل الجازم وغير الجازم ، والمطابق للواقع وغير المطابق ، والناشئ
عن دليل والخيالي عن الدليل (وغازم) : قيد أول يُخرج الظنَّ
والشكَّ والوهم فليست معرفة (ومطابق للواقع) : قيد ثان : يخرج
الإدراك الجازم المخالف لما في الواقع فليس معرفة بل جهل مركب
كاعتقاد الفيلسوف قديمَ العالم (وناشئ عن دليل) : قيد ثالث
يخرج الإدراك الجازم المطابق للواقع الخيالي عن الدليل ، فليس
معرفة بل هو تقليد .

وأما التقليد فهو : (الأخذ بقول غير المعصوم واعتقاده من
غير معرفة دليل له) فإذا أخبرك شخص غير معصوم بأن البعث حق

(١) كما جاء في مذكرات التوحيد ، لفضيلة الشيخ حسين عبد الرحيم مكي ، أكرمه
الله تبارك وتعالى .

فاعتقدت هذا الحكم من غير أن تعرف له دليلا كنت مقلدا له في ذلك الحكم .

وأما الدليل : فيراد به عند المتكلمين ما يوصل إلى اليقين بعقائد التوحيد، وهو قسمان : نقلى وعقلى . فالنقلى آيات القرآن الصريحة في دلالتها والأحاديث المقطوع بصحة روايتها ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(١) فإنه يوصل إلى اليقين بثبوت القدرة لله تعالى ، وقوله ﷺ (أنا العاقب فلا نبى بعدى) فإنه يوصل إلى اليقين بأنه عليه السلام خاتم النبيين .

والدليل العقلى : ما لم يكن من كتاب أو سنة ، وهو قسمان : تفصيلى وإجمالى ، فالدليل التفصيلى هو المقدور على تقريره وتفصيله ودفع الشبهة الواردة عليه ، كقول العالم : دليل وجود الله هذه المخلوقات ، فإن العالم يقدر على تفصيله بقوله : هذه المخلوقات حادثة فلا بد لها من مُحدث ، وذلك المحدث الموجود يجب أن يكون

(١) نهاية ثمانى آيات ، ثلاث منها فى سورة البقرة ، وأرقامها :

٢٠ و ١٠٩ و ١٤٨ - كما أنها نهاية الآية ١٦٥ : آل عمران، والآية ٧٧ : النحل / والآية

٤٥ النور / والآية ٢٠ : العنكبوت / والآية الأولى من سورة فاطر

وجوده لذاته وهو الله ، وإذا وردت عليه شبهة أمكنه دفعها ، فالأدلة العقلية التي يستدل بها العالم أدلة تفصيلية ، فُصِّلَتْ بالفعل أم لم تُفَصَّل .

والدليل الإجمالي : هو المعجوز عن تقريره وتفصيله ودفع الشبهة عنه ، كقول العامي : دليل وجود الله هذه المخلوقات ؛ فإن العامي يعجز عن تقريره وتفصيله ، وإذا وردت عليه شبهة لا يستطيع دفعها ، فالأدلة العقلية التي يستدل بها العامي أدلة إجمالية لعجزه عن تفصيل الأدلة ودفع الشبهة عنها .

المعرفة والتقليد في عقائد التوحيد

وقد اختلف العلماء في كفاية التقليد في عقائد التوحيد وعدم كفايته ، فذهب جماعة إلى أن التقليد لا يكفي في العقائد ولا يحصل الإيمان ، وأن المقلد في العقائد غير مؤمن عند الله وعندنا ، فلا يدخل الجنة ، ولا نعامله معاملة المسلمين ، وبنوا هذا على أن الدليل في العقائد واجب وجوب الأصول ، وأنه شرط لصحة الإيمان ، وهذا المذهب هو خلاف الراجح .

ودليلهم : أن المكلف مطالب بالمعرفة ، والمعرفة اعتقاد جازم مطابق للواقع ناشئ عن دليل ، وبانتفاء الدليل تنتفى المعرفة ، ومتى انتفت المعرفة انتفى الإيمان ؛ لأن الإيمان إما نفس المعرفة أو حديث النفس التابع للمعرفة .

وذهب آخرون إلى أن التقليد يكفي في العقائد ويحصل الإيمان المطلوب ، وأن المقلد مؤمن عند الله وعندنا ؛ لأن المطلوب التصديق بالعقائد ، وقد تحقق ذلك من المقلد إلا أنه إذا كان قادرا على الدليل يأثم بتركه كما يأثم بترك نحو الصوم ، وبنا هذا على أن الدليل في العقائد واجب وجوب الفروع ، وأنه غير شرط لصحة الإيمان بل لكماله ، وهذا هو المذهب الراجح .

ودليلهم : أن المكلف مطالب بالإيمان ، والإيمان قد بينه المصطفى ﷺ حين سئل عنه بقوله : (أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسوله) - الحديث ، فذكر عليه السلام التصديق مجردا عن الدليل ، فلا يكون الإيمان متوقفا على الدليل ، والمقلد وجد منه التصديق الجازم بالعقائد فيكون آتيا بالمطلوب .

والدليل الذى اختلفوا فى أنه شرط لصحة الإيمان أو غير شرط هو الدليل الإجمالى ؛ لأنه الميسور لعامة الناس ، أما الدليل التفصيلى فلا خلاف بينهم فى عدم توقف الإيمان والمعرفة عليه ، وأنه ليس واجبا عينيا على كل مكلف ؛ لأنه ليس مقدورا إلا للعلماء ، بل هو واجب كفائى لدفع الشبه الواردة على العقائد ، فإذا أتى به البعض سقط الوجوب عن غيره .

حقيقة الإيمان وبيان المذاهب فيه

الإيمان لغةً مُطْلَقُ التصديق ، وشرعا فيه مذاهب ، والمشهور منها مذهبان : أحدهما الأشاعرة والماتريدية وهو أن الإيمان (تصديق النبى ﷺ بالقلب فيما عُلِمَ مجيئه به من الدين بالضرورة) أى التصديق بكل ما اشتهر بين المسلمين أنه من دين نبينا محمد ﷺ وصار العلم به يشابه العلم الحاصل بالضرورة يعلمه العامة من غير افتقار إلى نظر واستدلال كوجود الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكوجوب الصلاة والزكاة ، وحرمة الخمر والزنى ويكفى التصديق الإجمالى فيما يلاحظ إجمالا . كغالب الملائكة ، والأنبياء ، والكتب . ويشترط التصديق التفصيلى فيما

يلاحظ تفصيلا ، كسيدنا محمد ، وإبراهيم ، وعيسى ، وجبريل ،
وميكائيل ، والقرآن ، والتوراة ، والإنجيل .

والمراد بتصديق النبي : الإذعان والقبول لما جاء به ، وترك
العناد والتكبر ، ولا يكفي مجرد اعتقاد صدق النبي ؛ فإن كثيرا ممن
كانوا في زمنه عليه السلام ، كانوا يعتقدون صدقه ومع ذلك لم
يكونوا مؤمنين ؛ لأنهم لم يذعنوا له ، ولم يقبلوا ما جاء به ؛ ولم
يتركوا العناد والتكبر . قال تعالى :

﴿... يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ
الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١) .

﴿وَحَدَّثُوا إِلَيْهَا وَأُتِيَتْهُنَّ أَنْفُسُهُنَّ ظَلَمًا وَعُلُوًّا ...﴾ (٢) .

وعلى هذا المذهب : فالنطق بالشهادتين والأعمال الصالحة
غير داخلين في حقيقة الإيمان ؛ لأنه مجرد التصديق بالقلب .
بل الأعمال الصالحة شرط كمال للإيمان . والنطق بالشهادتين
شرط لإجراء الأحكام الدنيوية بالنسبة لكافر يريد الدخول في

(١) البقرة : من الآية ١٤٦ .

(٢) النمل : من الآية ١٤ .

الإسلام ؛ لأن الإيمان خفى فلا بد له من علامة ، وهى النطق بالشهادتين فى حق القادر على النطق أو ما يقوم مقام النطق بهما فى العاجز عن النطق .

فمن صدق بقلبه من الكفار ونطق بالشهادتين فهو مؤمن عند الله وعندنا . فيستحق الجنة ونعامه معاملة المسلمين . ومن صدق بقلبه منهم ولم ينطق بالشهادتين وهو قادر على النطق فهو مؤمن عند الله فيستحق الجنة ، وليس بمؤمن عندنا فلا نعامله معاملة المسلمين . أما من بلغ من أولاد المسلمين فإن النطق بالشهادتين غير شرط لإجراء الأحكام الدنيوية عليه . بل هو مؤمن عندنا ولو لم ينطق بهما مدة حياته ؛ لأن الأصل فيه الإيمان . إلا إذا ظهر عليه ما يدل على عدم إيمانه ، فنحكم عليه بالكفر .

والنطق بالشهادتين واجب وجوب الفروع مرة فى العمر على كل مكلف كحمد الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ ، فمن تركه يائمه .

المذهب الثانى فى حقيقة الإيمان هو ما نقل عن الإمام أبى حنيفة ، واشتهر عن أصحابه وبعض الأشاعرة ، وهو أن الإيمان :

(تصديق بالقلب ونطق بالشهادتين) فهو مركب من جزأين ولا يتحقق إلا بهما معا ، إلا في حق العاجز عن النطق والمكره فإن إيمانهما يتحقق بتصديق القلب ، ولا يتوقف على النطق بالشهادتين ، فالتصديق جزء لا يحتمل السقوط أصلا ، والنطق بالشهادتين جزء يحتمل السقوط عند العجز أو الإكراه ، قال تعالى :

﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (١) .

﴿إِلَّا مَن أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (٢) .

حقيقة الإسلام وبيان المذاهب فيه

الإسلام لغة مطلق الانقياد . وشرعا فيه مذهبان : أحدهما لجمهور الأشاعرة وهو : أن الإسلام (الامتثال الظاهري لأوامر الشرع ونواهيه وقبولها وعدم ردها) سواء أعمل الممثل بمقتضى تلك الأوامر والنواهي أم لم يعمل .

وعلى هذا المذهب فالإسلام والإيمان متغايران ؛ لأن الإسلام هو الامتثال الظاهري ، والإيمان هو التصديق الباطني ، إلا أنهما

(١) البقرة : من الآية ٢٨٦ .

(٢) النحل : من الآية ١٠٦ .

متلازمان فى التحقق بحسب الشرع ،

فلا يوجد إسلام معتبر شرعا بدون إيمان ، وبالعكس ، ولا يوجد مسلم ناج ليس بمؤمن ، وبالعكس ، وقد يوجد إسلام بدون إيمان كما فى المنافقين ، إلا أن هذا الإسلام غير معتبر شرعا ولا ينجى صاحبه .

ثانى المذهبين فى حقيقة الإسلام مذهب جمهور الماتريدية وبعض محققى الأشاعرة ، وهو أن الإسلام شرعا : (الإذعان الباطنى والتصديق بما جاء به النبى محمد ﷺ مما علم من الدين بالضرورة) .

وعلى هذا المذهب فالإسلام والإيمان متحدان فى المعنى ومتغايران فى اللفظ ، والنطق بالشهادتين دليل على ما فى القلب من الإيمان والإسلام .

ما اعتبره الشارع منافيا للإيمان

اعتبر الشارع الحكيم أمورا تنافى الإيمان ، يدل وجودها على فقد الإيمان من قلب مرتكبها ، منها السجود لصنم ووصف الله

تعالى بما لا يليق بذاته المقدسة ، وسب أنبيائه وملائكته وكتبه ، والاستخفاف بالمصحف والكعبة ، والاستهزاء على الشريعة واستحلال المحرم المجمع على تحريمه كشرب الخمر ، وإنكار ما علم من الدين بالضرورة كإنكار وجوب الصلاة ، فمن اتصف بنحو هذه الأمور حكمنا عليه بالكفر ؛ لأن وجودها دليل على أن قلبه غير عامر بالإيمان . وهكذا كما ترى - أخوا الإسلام - كان لابد أن تكون على علم بكل تلك الأساسيات العقائدية التي يجب على كل مكلف ذكر أو أنثى ، حر أو رقيق أن يعتقد بها ، فيجب عليه أن يعرف الصفات الواجبة لله تعالى ، وأن يعرف الصفات الواجبة للأنبياء والرسل ، والمستحيلة عليهم ، والجائزة ^{لهم} في حقهم عليهم الصلاة والسلام ، وأن يعرف ما جاء في الكتاب والسنة من أحوال الموت والقبر وما بعدهما . ومن لم يعرف ذلك ^(١) فليس بمسلم ، ويخلد في نار جهنم .

(والمعرفة) هي الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل (والواجب) الأمر الثابت الذي لا يقبل الانتفاء ككون الجسم

(١) كما جاء في الجزء الأول من (الدين الخالص) . م

متحركاً أو ساكناً ، وكونه صغيراً أو كبيراً ، وكونه ناعماً أو خشناً .
ونحوه مما لا بد للجسم منه (والمستحيل) الأمر المنفى الذى لا يقبل
الثبوت ككون الجسم متحركاً ساكناً أو طويلاً قصيراً ، أو حيواناً
جماداً فى آن واحد (والجائز) ما يقبل الثبوت والانتفاء ككون
الجسم صغيراً فى وقت كبيراً فى وقت آخر ، وكونه قصيراً فى
وقت طويلاً فى آخر ، وكونه حياً فى وقت ميتاً فى آخر .

* * وإذا كان لنا بعد هذا أن ندور حول :

الواجب فى حق الله تبارك وتعالى

فإنه يجب على المكلف أن يعتقد أن الله تعالى متصف
بالصفات الجليلة القديمة الثابتة بالأدلة التفصيلية وهى ثلاث
عشرة :

إليك بيانها ، كما جاء فى الجزء الأول من الدين الخالص -
بتصرف وإضافات (١) :

١ - الوجود : فهو تعالى موجود بلا ابتداء قبل وجود جميع
الحوادث من عرش وكرسى وسموات وسائر العالم (والدليل)

(١) من المراجع التوحيدية الصحيحة .

على ذلك خَلَقَهُ تعالى السموات وما فيها من الكواكب والملائكة ،
والأرض وما فيها من الجبال والرمال والأشجار والأحجار والبحار
والأنهار والحيوانات والجمادات ؛ لأن الصنعة لا بد لها من صانع
موجود . وقد قال الله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ خَلِيقُ
كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(١) ، ومن البديهي أن موجد الشيء لا يكون
معدوما ؛ لأن المعدوم لا يعطى الوجود .

* * * ومن أجمل البراهين التي قرأتها لبعض الفلاسفة والتي
نستطيع بها الاستدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى ^(٢) :

* ما قاله الفيلسوف الفرنسي ديكارت (١٥٥٦ - ١٦٥٠) :

(إن فكرة الألوهية موجودة في أذهاننا ، ووجودها الذهني دليل
على وجود حقيقة خارجية هي مصدرها) .

وقال : (إن هذه النفوس التي تدرك ذاته تعالى موجودة يقينا ،
ولا يصح أن يكون وجودها صادرا عنها ؛ لأننى - وأنا الذى يتصور
الكمال فى أجلى مظاهره - لو أوجدت نفسى لمنحتها أعظم قسط
منه مع أنها فى الواقع ناقصة) .

(١) غافر، من الآية : ٦٢ .

(٢) كما جاء فى كتاب (البحوث الدينية التوحيدية) طبعة دار المعارف بمصر .

* وقال مالبرانش الفرنسى (١٦٣٨ - ١٧١٥) :

(الله هو الموجود والحق والفاعل الوحيد ، وليس وجوده -
جل شأنه - فى حاجة إلى إثبات ؛ لأن فكرة الألوهية الماثلة فى
أذهاننا جميعا ، والتي تدركها مباشرة ، وبدون واسطة - تستلزم
الوجود ، ولا يمكن أن يكون العدم موضوعا لتفكيرنا بحال) .

* وقال بينتر الألمانى (١٦٤٦ - ١٧١٦) :

(هناك فرق بين الممكن والواقعى والضرورى ، فالأول ما
احتمل الوجود والعدم ، والثانى ما وجد بعد عدم ، والثالث هو
الموجود أزلا الذى يستحيل ضده ، والذى استغنى عن البواعث
والعلل ، ومبدأ السبب الكافى يقضى بأن الممكن لا يصبح واقعيا
إلا بواسطة علة أخرى ضرورية تمنحه الوجود ، فوجود العالم دليل
البارئ جل شأنه ، الذى صيره واقعيا بعد أن كان محتملا للوجود
والعدم) .

* وفى نقاش الماديين يقول الأستاذ العقاد رحمه الله :

(وما من مذهب اطلعت عليه من مذاهب الماديين إلا وهو
يوقع العقل فى تناقض لا ينتهى إلى توفيق ، أو يلجئه إلى زعم لا

يقوم عليه دليل ، فالقول بالتطور فى عالم لا أول له خرافة تعرض عنها العقول ؛ لأن ابتداء التطور يحتاج إلى شىء جديد فى العالم القديم ، وحدوث التطور بغير ابتداء تناقض لا يسوغ فى اللسان ، فضلا عن الفكر والخيال ، والقول بأن المادة تخلق العقل ، كالقول بأن الحجر يخلق البيت ، وأن البيت يخلق الساكن فيه ، وأيسر من ذلك عقلا ، بل ألزم من ذلك عقلا أن يقال : إن العقل والمادة موجودان وإن أحدهما بأن يسبق الآخر ، ويخلقه هو العقل ؛ لأن المادة لا توجد ما هو أفضل منها ، وفماقد الشىء لا يعطيه) .

وبهذا ندرك الفرق بين وجود الله ووجود العباد ، فوجود الله واجب للذات ، لا يقبل الانتفاء ، فلا بداية له ولا نهاية ، أما وجود العباد فجائز يقبل الثبوت والانتفاء وله بداية ونهاية ، فهم يوجدون بعد العدم ، وينتهى وجودهم متى أراد الله .

ولهذا ، فقد جاء فى بداية البحث المفيد ، تحت عنوان :

ما يجب فى حق الله وما يستحيل عليه

أن الصفات التى يجب ثبوتها لله تعالى أنواع ثلاثة :

١ - صفة نفسية : لا تتحقق الذات إلا بها ، وهى صفة الوجود .

٢ - صفات سلبية : وهى التى تنفى عن ذات الله ما لا يليق بها ، وهى خمس : القدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدانية .

٣ - صفات المعانى : وهى الصفات الوجودية التى تثبت للذات العلية ما يليق بها من كمال ، وهى كثيرة ؛ لأن كمالات الله تعالى لا تنتهى ولا تُحدُّ ، وأهم ما يجب أن تقف على أدلته منها سبعة وهى :

العلم ، والحياة ، والإرادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام .

ثم يقول : وأضداد هذه الصفات كلها من : عدم ، وحدوث ، وفناء ، ومثابهة للحوادث ... الخ مستحيلة عليه تعالى .

ثم يقول بعد ذلك حول صفة الوجود كلاما منطقيا ينبغى أن يلاحظه كل مؤمن ومؤمنة ، حتى يكونا دائما مع هذا الإله العظيم الموجود ، فيقول ما خلاصته :

أن الإنسان يشعر فى أعماق نفسه بوجود إله لهذا الكون ، خالق قادر يصرفه كما يريد ، ويحكم فيه كما يشاء ، وهذا أمر تهديه إليه فطرته ، وينطق به طبعه ، من غير حاجة إلى تعليم وإرشاد ، وأنه من أجل ذلك اندفع منذ وجد يتلمس لنفسه إلهها ، وراعه الظواهر الطبيعية ، فعبد منها ما رآه خليقا بمقام الألوهية ، فعبد الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والرياح وغيرها ، وظن حيناً أن للبحر إلهها ، وللشعر والجمال والحب آلهة ، وهكذا . واتجه كثير من الفلاسفة فى أقدم العصور إلى البحث عن مصدر الكون ، ومنشأ الوجود ، واختلفوا فى ذلك ما شاء لهم الاختلاف . هذا كله دليل على أن الإنسان مدفوع بطبعه إلى التدين ، وفى فطرته الاعتراف بوجود الله ، وإن اضطرب رأيه فيه . نعم قد تطفئ على المرء عوامل الهوى والعناد والغواية ، فيخفى هذا الإحساس فى نفسه ، ولكنه لا يلبث أن يعاوده إذا تكشفت عنه تلك الحجب ، ورجع إلى فطرته وطبيعته ، وآية ذلك أنه إذا انتابته نائبة أو نزلت به شدة التجأ إلى الله وحده ، وتضرع إليه مدعئاً له ، مُقرّاً بوجوده إقراراً لا ظل فيه لتردد ، ولا أثر فيه لريبة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ

مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ... ﴿١﴾ . وقال : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ
مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَآئَهُ ﴾ ﴿٢﴾ .

وهذا الإحساس الفطرى دليل قوى على وجود الله .

وأن الكون موجود ، وأن كل ما تشاهده فيه من الكائنات
يعتريه التغير ، ويتولد بعضها من بعض ، وذلك كله من قبيل
الممكن الذى وجد بعد أن لم يكن ، ولا بد له من مُوجد ، إذ
يستحيل عقلا أن يُوجدَ بغير سبب ، وأن يوجدَ نفسه ؛ لأن كون
الشيء سببا لنفسه باطل ، لا ستلزامه تقدم الشيء باعتباره سببا
على نفسه باعتباره مسببا ، فلا بد أن يكون لهذه الممكنات
جميعها مُوجد . وما وراء الممكن مستحيل ، وواجب ، والمستحيل
لا يوجد غيره ؛ لأنه معدوم ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، فيبقى
الواجب ، ويلزم أن يكون لهذه الكائنات مُوجد واجب الوجود لذاته
لا لعارض أوجده ، وذلك هو الله سبحانه وتعالى . وذلك دليل
يدركه من له أدنى حظ من التفكير ، وقد ساقه عربى فى كلمة له
فقال : (بكرة تدل على بعير وأقدام تدل على مسير ، فأرض ذات

(١) الروم : من الآية ٣٣ .

(٢) الإسراء : من الآية ٦٧ .

فجّاج ، وسماء ذات أبراج ، أفلا يدل ذلك على الحكيم
الخبير؟ (١) .

وأن هذا الكون وما نرى فيه من مظاهر الإبداع والإتقان يشهد
بوجود إله يخلق بقدر ، ويدع بعلم وحكمة ، فالأجرام السماوية فى
كثرتها وعظمتها وجرّكتها الدائمة ، وتباعد ما بينها تسير على نظام
وثيق لا يختل ، واطراد لا يتخلف ، والأرض تدور حول نفسها ،
وتتحرك حول الشمس ، ويتحرك حولها القمر ، فينشأ الليل
والنهار ، وتنوع الفصول ، وتختلف الأجواء ، وتتوزع الأمطار والمياه ،
وكل شىء مهياً لما أُعِدَّ له : الأرض لسكنى الناس والحيوانات البرية ،
والماء للحيوانات المائية ، والهواء للطير ، وهكذا .

وإنك لو نظرت فى عالم الحيوان مبتدئاً بالحيوانات الدنيا
ومنتهياً بأرقاها لوجدت لنشأتها ونموها وتكاثرها ، نظاماً رائعة دقيقة ،
ووجدت كل جزء فيها قد خلق بقدر ، وزود بما يكفل له أداء
رسالته على أتم الوجوه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ
بِقَدَرٍ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى (٢) وَالَّذِى قَدَّرَ

(١) سورة القمر : ٤٩

﴿فَهَدَى﴾ (١) .

وعلى هذا النحو من الدقة والكمال تجدد النظام فى المملكة النباتية ، ففى اتساعها وتعدد أنواعها ، واختلاف أشكالها ، وألوانها ، وطعومها ، وروائحها ، وخواصها ، ومنافعها ، وتسلسلها من المراتب الفطرية الدقيقة إلى أعلى المراتب وأكملها - فى ذلك كله ما يبعث على الدهشة ويثير الإعجاب .

وبين يديك علوم الطبيعة ، والكيمياء ، والحيوان ، والنبات تكشف لك عما أودع فى المادة من أسرار ، وما وزع على العناصر من خواص تمهد كلها لبناء هذا الكون والترقى به ، وأن ما كشف العلماء من ذلك ، وما انتفعوا به فى ميادين البحث والاختراع لا يزال - على كثرته - قطرة من خضم هذا الكون الحافل بالأسرار والقوى .

كل هذا لا يمكن أن يكون مصدره المادة ذاتها ، لأن المادة جامدة عمياء ، ليس لها عقل ، تستطيع أن تميز به هذه الأوضاع

(١) سورة الأعلى : ٢ و ٣ .

الدقيقة ، أو تهتدى إلى ذلك النسق الكامل ، أو تحتفظ بهذه النواميس المحكمة على مرّ الدهور ، دون خلل أو اضطراب . ثم إنها مسخرة تؤدي وظائف لا يمكن أن تتخلى عنها ، والإنسان - وهو جزء منها في أحسن صورة وأكمل طور ، وهو الذى يسخرها ، ويتحكم فيها - لا يقدر أن يُكسِبَهَا خاصة جديدة ، فهى عن خلق ذلك فى نفسها أعجز . ولا يعقل أن يكون هذا الإبداع كله قد وُجِدَ اتفاقاً ، وعن طريق المصادفة ؛ لأن المصادفة لا يمكن أن تكون أساساً لنظام مستمر محكم ، لا يعتوره نقص ولا يشوبه اضطراب كهذا النظام ، وإذن فلا بد أن تكون هناك قوة تسيطر على هذا العالم ، وتمنحه الوجود والإحكام ، تلك القوة هى الله رب العالمين .

والقرآن الكريم كثيراً ما يتجه فى إثبات وجوده تعالى هذا الاتجاه ، فيوجه النظر إلى ما فى الكون من عجائب وبدائع ، فيقول تبارك وتعالى : ﴿ وَفِى الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝۲۰ وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝۲۱ ﴾ (١) ،

(١) الذاريات : ٢٠ و ٢١ .

ويقول : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) إلى آخر تلك الآيات
البيانات التي ينبغي أن نقف عليها ونعيش بتدبر في معانيها وما
تحتوي عليه من أبعاد ، حتى نصل من خلالها إلى معرفة الخالق
سبحانه وتعالى ، والإيمان بوجوده .

ونستطيع بعد هذا الخير الذي وقفنا عليه أن نتساءل مع هذا
الرجل المؤمن الذي يقول ^(٢) .

مَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ

وهدى المسافر في الدجى بالأُنْجُم ؟

(١) البقرة : ١٦٤ .

(٢) وهو الأستاذ أحمد عبد الهادي ، كما جاء في مجلة الوعي الإسلامي ، العدد
١٤٠ سنة ١٩٨٦ م تحت عنوان « هو الله الذي لا اله الا هو » صفحة ٨١ .

وأعد للطفل الضعيف غذاءه

لينا خفيف الهضم حلو المطعم ؟

الله عِلمَ عبده وأعزه

وهدى الغريب وأطعم الطفل العمي

* * *

من أيقظ الأطيّار إبّان السّحر

تشدو وتسعى للغذاء بلا حذر

وتعود للأعشاش مائة الحشا

لتزق أفرانها صغاراً تنتظر ؟

الله أيقظها وأطلق شدوها

وأطارها للعيش من فوق الشجر

* * *

من أخرج الشجر العظيم من النّواه

وأقله الثمر الجميل كما تراه ؟

وأَعَدَّه للنَّاسِ حُلُومًا طَيِّبًا .
شَتَّى المذاق وقد سُقِيَ نَفْسَ المِيَاهِ ؟
اللَّهِ أَخْرَجَهُ وَحَمَلَهُ الجَنَى
وسقاه ماءً واحدًا يُجْرِي الحِيَاهُ

* * *

مَنْ ذَا الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ بِلَا عَمَدٍ ؟
وَمَنْ الَّذِي يُعْطِيكَ - إِنْ تَرَجُّ - المَدَدَ ؟
وَمَنْ الَّذِي يَدْرِي بِسِرِّكَ إِنْ خَفَا
وَيَقِيكَ سَيِّئَ مَا بِصُدْرِكَ مِنْ كَمَدٍ ؟
اللَّهُ رَافِعُهَا السَّمَاءَ ، وَعَالِمُ
بِالسِّرِّ . وَهُوَ الْبَارِئُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ

* * *

مَنْ ذَا الَّذِي نَادَاهُ مِنْ قَلْبِ الْبَحَارِ
قَوْمٌ عَلَى الْفُلْكِ الَّذِي لَقِيَ الدَّمَارَ ؟

ريح وأمواج ترامت فوقهم
فأتى بهم للبرثم إلى الديار ؟
الله نجاهم وأذهب روعهم
ووقاهم الله الهلاك والاندثار

* * *

مَنْ ذا الذى نظم الكواكب فى الفلك
وترى النهار إذا مضى يأتى الحلك
بأدق ما كان النظام ودونما
خلل ، ولا تلقى الكواكب تشتبك ؟
الله ناظمها بغير مساعد
وهو المليك ، أجل ، ومالك مَنْ ملك

* * *

مَنْ أخرج الإنسان من ماء مهين
ونشأ أطواراً على مرّ السنين

وأجاد صورته وأبدع خلقه
وهده بالتفكير للحق المبين ؟
الله أبدعه وأكمل خلقه
وحبّاه عقلا يستضيء به اليقين

* * *

نعم ، إنه الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا أحد .

٢ - القدم : ومعناه أنه لا ابتداء لوجوده تعالى ، لقوله تعالى :

﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١)

إذ معناه أن كل شيء غير الله مخلوق لله ، فلا يجوز أن يكون
غيره خالقا له ؛ لأنه لو كان مخلوقا لكان محتاجا إلى غيره ، كيف
وهو ذو الغنى المطلق ، وفقر كل شيء إليه محقق ؟

وقد ثبت فيما مر بك أنه واجب الوجود ، والواجب لا يقبل
الانتفاء ، ووجوده ذاتى لا لعارض منحه إياه ، بل إنه أعطى

(١) الزمر : الآية ٦٢ .

الممكنات وجودها .

ثم إنه لو لم يكن قديما لكان حادثا ، ولو كان حادثا ،
لاحتاج إلى محدث ، ومحدثه إلى محدث وهكذا ، وذلك يؤدي
بك إلى فرض سلسلة من آلهة تتصف بالحدوث ، والعجز ،
والافتقار إلى إله قديم موجود لذاته ، يصدر عنه كل وجود .
سواء ، وذلك هو (الله) قال تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ
وَالْآخِرُ ۖ ﴾ (١) .

٣ - البقاء : ومعناه أنه لا انتهاء لوجوده سبحانه وتعالى ، وأنه لا
انتهاء يلحقه عدم ، لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَبَقِيَ
وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٢) ، وقوله :
﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ ... ﴾ (٣) . ولأن من
ثبت قدمه استحال عدمه . فهو الأزلي القديم
بلا بداية والأبدى الباقي بلا نهاية : ﴿ هُوَ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

(١) الحديد : من الآية ٣ .

(٢) الرحمن : ٢٧ .

(٣) القصص : من الآية ٨٨ .

عَلِيمٌ ﴿١﴾ .

فهو القديم وحده والباقي
فى القيد نحن وهُوَ فى الإطلاق

أى أنه سبحانه وتعالى — كما جاء فى شرح هذا البيت — هو
القديم لا غيره .. والقدم صفة سلبية ، وهو انتفاء العدم السابق
على الوجود ، وهو من خواص الألوهية الحقّة ، ودليله — كما
عرفنا قبل — أنه تعالى لو لم يكن قديما لكان حادثا ، ولو كان حادثا
لاحتاج إلى محدث ، فيلزم الدور أو التسلسل ، وكلاهما محال ،
وهو أيضا الباقي وحده سبحانه وتعالى ، والبقاء صفة سلبية
أيضا ، وهو انتفاء العدم اللاحق للوجود ، والمراد البقاء بالذات المختص
بالألوهية ، ودليله أن الله تعالى لو لم يكن باقيا لكان يفنى وينعدم ،
وكل قابل للبقاء والانعدام حادث والله تعالى قديم وليس بحادث
فهو باق . وأما البقاء بالغير كبقاء أهل الجنة والنار فليس هو من
صفات الله تعالى ، لتزوّج الله تعالى عنه ؛ لأنه افتقار إلى الغير ، وهو
محال على الله تعالى .

(١) الحديد : ٣ .

٤ - مخالفته تعالى للحوادث : ومعناها عدم مماثلته لشيء منها لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال ، لقوله تعالى : ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١) .
ولأنه لو مائل شيئاً منها لكان حادثاً مثلها . والحدوث مستحيل في حق الخالق عز وجل .

ومعناها كذلك - بصورة أوضح - أنه سبحانه وتعالى لا يماثل الممكنات في شيء ما ، فليس جوهرًا ، ولا جسمًا ، ولا عرضًا ، ولا متحركًا ، ولا ساكنًا ، ولا يوصف تعالى بالكبر ولا بالصغر ، ولا بالفوقية ، ولا بالتحتية ، ولا بالحلول في الأمكنة ، ولا بالاتحاد مع غيره ، ولا بالاتصال به ، ولا بالانفصال عنه ، ولا بالزيادة ولا بالنقصان ، ولا بالتأثر بالمؤثرات النفسية التي تنتج اللذة والألم ، والفرح والحزن ، والغضب والرضا ، ولا بغير ذلك من أوصاف الحوادث . ليس جوهرًا ؛ لأن الجوهر - (وهو الذي يشغل حيزًا من الفراغ ، ولا يقبل التجزئة) - حال في محل ، وموجود في حيز ، فهو في حاجة إلى المكان والحيز وإلى من يخلقهما له ، وهو

(١) الشورى : من الآية ١١ .

بذلك داخل فى دائرة الممكنات ، فلا يكون واجب الوجود .

وليس جسما ؛ لأن الجسم - (وهو المتحيز المركب من أجزاء) - يحتاج إلى وجود كل جزء من أجزائه قبل وجود جملة ، فلا يكون قديما لتقدم أجزائه فى الوجود عليه ، كما يحتاج إلى من يؤلف بين هذه الأجزاء ، ومعنى هذا أنه قابل للعدم ، وذلك ينافى ما ذكر من أن وجود الواجب إنما هو لذاته لا لشيء خارج عنه ، وأنه أزلى ، أبدى ، لا أول لوجوده ، ولا آخر لبقائه . وليس عرضاً ؛ لأن العرض - (وهو ما لا يستغنى بذاته ، وإنما يحتاج إلى شيء يقوم به ، كالأزمة ، والأمكنة ، والجهات والأوصاف) - يتغير ويتبدل ويتناوب الوجود والعدم تبعاً لوجود ما يقوم به أو انعدامه ، فيكون حادثاً ولا يكون واجب الوجود .

على أنه تعالى لو شابه الحوادث ، لكان مثلها ، ولجاز عليه ما يجوز عليها من الحدوث والتغير والفساد ؛ لأن ما يجوز على أحد المثلين يجوز على الآخر ، وإذن فأين مقام الألوهية ، وما يجب لها

من الكمال ؟ وما الذى يميز الإله عن خلقه حينئذ ؟ ولم يختص
بالألوهية ولا تكون الحوادث المماثلة له آلهة مثله ؟. إنه لابد أن
يكون مُخَالَفًا لها ، وأن يكون ذا شأن آخر يتفق مع جلال الربوبية ،
وعظمة الذات العليا . قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١)
وقال : ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ﴾^(٢) . وربما اعترضتك آيات فى القرآن فيها ما يوهم
تشبيه الله بخلقه ، نحو : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ...﴾^(٣) ،
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٤) ، ... وَالسَّمَوَاتِ
مَطْوِيَّتٍ بِيَمِينِهِ...^(٥) ، ... إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
الطَّيِّبُ...^(٦) ، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ..﴾^(٧)

(١) الشورى ، من الآية : ١١

(٢) سورة الأَخْلَاص : ٣ و ٤ .

(٣) النحل : من الآية ٥٠ .

(٤) سورة طه : ٥ .

(٥) الزمر : من الآية ٦٧ .

(٦) فاطر : من الآية ١٠ .

(٧) الفجر : من الآية ٢٢ .

* * وهذه كلها يجب تأويلها بما يليق بمقام الله ، ويسيغه مفهوم اللغة ، فتَحْمَلُ الفوقية في الآية على معنى التمكن من الملك والسلطان . واليمين على معنى القدرة . وصعود الكلم إليه على معنى ارتضائه له ، ومجيء الله على مجيء أمره ، وهكذا .

وإنما دعا إلى هذه التعبيرات أن ألفاظ اللغة المحدودة لا تستطيع أن تصور لعقل الإنسان القاصر الحقائق الإلهية إلا في صورة يألفها ، ويقوى على إدراكها .

ونحب قبل أن نفرغ من الكلام عن هذه الصفة - أن نبين لك أن الإنسان قد يقف من ذات الله حائراً يتلمس أن يضع لها صورة ذهنية ، ولكن ذلك خطأ وضلال ؛ لأنه لا شيء من الصور الذهنية إلا وهو منتزع من المدركات الخارجية أو مؤلف منها، وإن باينها ، وأبعد الخيال عنها ، وهذه المدركات كلها حادثة فكيف تتألف منها صورة الله الواجب الوجود ، المتعالى عن الشبيه والنظير ؟ إن هذا غير ممكن ؛ ولهذا قيل : (كل ماخطر ببالك فالله بخلاف ذلك) .

على أن للعقل جهودا إذا جاوزها عجز وضل ، وخبط في غير فهم ولا إدراك . وهناك ظواهر كثيرة تقع تحت حس الإنسان ، وتتداخل في مدرجاته ، وهو مع ذلك يعجز عن الوصول إلى كنهها، فالنفس ، والروح ، والعقل ، والضوء ، والكهرباء ، والأثير، قريبة منه كل القرب ، ولكنه لا يستطيع معرفة حقيقتها ، وهو لذلك يكتفى بالبحث في آثارها وأعراضها ، وما يمكن أن يفيد منها ، ويدَّعُ - مضطرا - محاولة أكتناهاها ، وما ذاك إلا لأن إدراكه ينتهى عند غاية محدودة ، فالتفكير فيما وراء هذه الغاية إضاعة للوقت ، وصرف للقوى فيما خلقت غير مستعدة له . (وإذا كان هذا حال العقل الإنسانى مع ما يساويه في الوجود أو ينحط عنه ، بل كذلك شأنه فيما يظن من الأفعال أنه صادر عنه كالفكر - فما يكون من أمره بالنسبة إلى ذلك الوجود الأعلى ١٩) .

وماذا يعنى المرء من رسم صورة للإله ؟ وما فائدة ذلك له ؟ عليه أن يفكر فى آثار صنع الله ؛ ليهتدى إلى منافع خلقه ، ويشبع رغبته فى البحث ، ويكون تفكيره مجديا ، وقال ﷺ : (تفكروا فى خلق الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا) .

*** * * وأنا شخصيا مع هذا الرأي الذى يريح النفس ويجعل المؤمن بعيدا عن أسباب الزيغ والضلال ... وإن كنت أرى أن أوقف الأخ القارئ على الفتوى التى أجاب فيها الشيخ سليم البشرى رحمه الله تعالى عن كل تلك التساؤلات الهامة فقال^(١) :**

إلى حضرة الفاضل الشيخ أحمد على بدر بيلصفورة : قد أرسلتم بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٣٢٥ هـ مكتوبا مصحوبا بسؤال عن حكم من يعتقد ثبوت الجهة له تعالى ، فحررنا لكم الجواب الآتى وفيه الكفاية لمن اتبع الحق وأنصف : اعلم أن مذهب الفرقة الناجية وما عليه أجمع السنيون أن الله تعالى منزّه عن مشابهة الحوادث ، مخالف لها فى جميع سمات الحوادث ، ومن ذلك تنزّهه عن الجهة والمكان ، كما دلت على ذلك البراهين القطعية ، فإن كونه فى جهة يستلزم قدم الجهة أو المكان ، وهما من العالم - وهو ما سوى الله تعالى - وقد قام البرهان القاطع على حدوث كل ما سوى الله تعالى بإجماع من أثبت الجهة ومن نفاها ، ولأن المتمكن يستحيل وجود ذاته بدون المكان ، مع أن المكان يمكن

(١) كما جاء فى هامش (الدين الخالص) ج ١ ص ٣٣

وجوده بدون المتمكن لجواز الخلاء ، فيلزم إمكان الواجب ووجوب الممكن ، وكلاهما باطل ، ولأنه لو تحيز لكان جوهرًا ، لاستحالة كونه عرضًا ، ولو كان جوهرًا فإما أن ينقسم وإما ألا ينقسم وكلاهما باطل فإن غير المنقسم هو الجزء الذي لا يتجزأ ، وهو أحقر الأشياء - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - والمنقسم جسم وهو مركب ، والتركيب يناقض الوجود الذاتي فيكون المركب ممكنا يحتاج إلى علة مؤثرة ، وقد ثبت بالبرهان القاطع أنه تعالى واجب الوجود لذاته ، غنى عن كل ما سواه ، مفتقر إليه كل ما عداه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١)، هذا وقد خذل الله أقواما أغواهم الشيطان وأذلهم ، اتبعوا أهواءهم ، وتمسكوا بما لا يجدى ، فاعتقدوا ثبوت الجهة .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، واتفقوا على أنها جهة فوق إلا أنهم افترقوا : (فمنهم) من اعتقد أنه جسم مماس للسطح الأعلى من العرش، وبه قال الكرامية واليهود، وهؤلاء لا نزاع في كفرهم (ومنهم) من أثبت الجهة مع التنزيه وأن كونه فيها ليس ككون الأجسام، وهؤلاء ضلال فساق في عقيدتهم وإطلاقهم على الله ما لم يأذن به الشارع

(١) الشورى : جزء من الآية ١١ .

ولا مَرِيَّةٌ أَنَّ فاسقَ العقيدة أقبح وأشنع من فاسق الجارحة بكثير ،
 سيما من كان داعية أو مُقْتَدِي به (ومن نُسِبَ) إليه القول
 بالجهة من المتأخرين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن
 تيمية الحنبلي ، وقد انتدب بعض تلامذته للذِّبِّ عنه وتبرئته مما
 نسب إليه ، وساق له عبارات أوضح معناها وأبان غلط الناس في
 فهم مراده ، واستشهد بعبارات أخرى صريحة في دفع التهمة عنه ،
 وأنه لم يخرج عما عليه الإجماع ، وذلك هو المظنون بالرجل
 لجلالة قدره ورسوخ قدمه . وما تمسك به المخالفون القائلون بالجهة
 أمور واهية وهمية لا تصلح أدلة عقلية ولا نقلية ، قد أبطلها العلماء
 بما لا مزيد عليه ، وما تمسكوا به ظواهر آيات وأحاديث موهمة
 كقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (١)

وقوله : ﴿ ... إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ... ﴾ (٢) ، وقوله :
 ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ ءَأَمِنُمْ

(١) سورة طه : ٥ .

(٢) فاطر : من الآية ١٠ .

(٣) المعارج : من الآية ٤ .

مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضَ .. ﴿١﴾ ، وقوله :
﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ .. ﴿٢﴾ . وكحديث :

(. إنه تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول ، هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟) وقوله للجارية الخرساء : (أين الله ؟ فأشارت : فى السماء) حيث سأل بأين التى للمكان ، ولم يُنكرَ عليها الإشارة إلى السماء بل قال : (إنها مؤمنة) (ومثل) هذه - يجب عنها بأنها ظواهر ظنية لا تعارض الأدلة القطعية اليقينية الدالة على انتفاء المكان والجهة . فيجب تأويلها وحملها على محامل صحيحة لا تأباها الدلائل والنصوص الشرعية إما تأويلا إجماليا بلا تعيين للمراد منها كما هو مذهب السلف ، وإما تأويلا تفصيليا بتعيين محاملها وما يراد منها كما هو مذهب الخلف كقولهم : إن الاستواء بمعنى الاستيلاء ، كما فى قول القائل :

(١) سورة الملك : من الآية ١٦ .

(٢) الأنعام : من الآية ٦١ .

قد استوى بشرٌ على العِراق

من غير سيف ودم مهراق

وصعود الكلم الطيب إليه قَبُولُهُ إياه ورضاه به ؛ لأن الكلم عَرَضٌ يستحيل صعوده . وقوله : مَنْ في السماء ، أى : أمره وسلطانه أو مَلَكٌ من ملائكته مُوَكَّلٌ بالعذاب . وعروجُ الملائكة والروح إليه صعودُهُم إلى مكان يُتَقَرَّبُ إليه فيه ، وقوله : فوق عبادِه ، أى : بالقدرة والغلبة ، فإن كل من قهر غيره وغلبه فهو فوقه ، أى أنه أقدر منه وأغلب ، ونزوله إلى السماء محمول على لطفه ورحمته وعدم المعاملة بما يستدعيه علو رتبته وعظم شأنه على سبيل التمثيل ، وخص الليل لأنه مظنة للخلوة والخضوع وحضور القلب ، وسؤاله للجارية (بأين) استكشاف لما يظن به اعتقاده من أينية المعبود كما يعتقدُه الوثنيون ، فلما أشارت إلى السماء فهم أنها أرادت خالق السماء ، فاستبان أنها ليست وثنية وحكم بإيمانها ، وقد بسط العلماء فى مطولاتهم تأويل كل ما ورد من أمثال ذلك عملا بالقطعى وحملًا لِلظَنَى عليه ، فجزاهم الله عن الدين وأهله خير الجزاء .

ومن العجيب أن يدَّع مسلم قول جماعة المسلمين وأئمتهم
 ويتمشّدق بترّهات المبتدعين وضلالتهم ، أمّا سمع قول الله تعالى :
 ﴿... وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ
 وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ^(١) ، فليتب إلى الله تعالى من تلتطخ بشيء
 من هذه القاذورات ، ولا يتبع خطوات الشيطان ؛ فإنه يأمره بالفحشاء
 والمنكر ، ولا يحملنه العناد على التماذى والإصرار عليه ؛ فإن
 الرجوع إلى الصواب عين الصواب ، والتماذى على الباطل يفضى
 إلى أشد العذاب ﴿... مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ
 فَلَنْ يَجْدَلَهُ وَلِيًّا مُّشِيدًا﴾ ^(٢)

نسأل الله أن يهدينا جميعا سواء السبيل وهو حسبنا ونعم
 الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه أجمعين ومن
 تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أهـ .

* * * وقد أورد إمام أهل السنة (الشيخ محمود خطاب
 السبكي) رحمه الله تعالى فى الجزء الأول من الدين الخالص ،

(١) النساء : من الآية ١١٥ .

(٢) الكهف : من الآية ١٧ .

فى باب (المتشابه) أقوالا هامة تتعلق بهذا الموضوع ، قال فيها بعد أن قال :

(وأما) السلف والخلف فإنهم مجمعون على ثبوت صفات الله تعالى الواردة فى الكتاب العزيز والسنة المحمدية .

وإنما خلافهم فى : تفويض معنى المتشابه : وهو مذهب السلف . وفى بيان معناه : وهو مذهب الخلف :

* قال الإمام السلفى الجليل ابن كثير فى تفسيره ما نصه : أما قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ قلنا فى هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هنا موضع بسطها ، وإنما نسلك فى هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعى ، والثورى ، والليث بن سعد ، والشافعى ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا . وهو إمرارها كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل . والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفى عن الله تعالى ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه و« ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » ، بل الأمر كما قاله الأئمة : منهم نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى قال :

من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه (فمن أثبت) لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذى يليق بجلال الله تعالى (ونفى) عنه تعالى النقائص ، فقد سلك سبيل الهدى . أهـ .

* وقال العلامة إسماعيل حقى فى تفسيره روح البيان : من قال إن الله فى السماء إن أراد به المكان كفر ، وإن أراد به الحكاية عما جاء فى ظاهر الأخبار لا يكفر ؛ لأنها مؤولة ، والأذهان السليمة والعقول المستقيمة لا تفهم بحسب السليقة من مثل هذه التشبيهات إلا عين التنزيه . أهـ .

(ولذا) لم يتعرض السلف لتأويل المتشابهات لكون العقول إذ ذاك كانت سليمة لا تفهم من المتشابه إلا تنزيه الله عز وجل عن صفات الحوادث . (وتعرض) الخلف للتأويل لفساد عقول كثير من أهل زمانهم ففهموا من ظاهر المتشابهات أن الله سبحانه وتعالى جسم يحل فى العرش أو السماء أو الجهة .

* (قال) فى روح البيان : يقال لمن قال : إن لله تعالى مكانا: أين كان قبل خلق هذه العوالم ؟ ألم يكن له وجود متحقق؟ فإن قالوا : لا ، فقد كفروا ، وإن قالوا بالحلول والانتقال ، فكذاك ؛ لأن الواجب لا يقارن الحادث إلا بالتأثير والفيض وظهور كمالاته ، لكن لا من حيث إنه حادث مطلقا بل من حيث إن وجوده مستفاض منه ، فافهم . أهـ .

* (وقال) أيضا : من يثبت له تعالى مكانا فهو من المجسمة . ومنهم جهلة المتصوفة القائلون بأنه تعالى فى كل مكان ، ومن يليهم من العلماء الزائغين عن الحق الخارجين عن طريق العقل والنقل والكشف . أهـ .

* (والعلماء) الزائغون عن الحق هم الذين ذمهم الله تعالى بقوله : ﴿... فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ...﴾ (١) ، وأى فتنة أظفح من كونهم كفروا بالله تعالى لاعتقادهم أن الله تعالى جالس على العرش ، أو له مكان ، أو حل فى جهة ، زعما

(١) آل عمران : من الآية ٧ .

منهم أن ظاهر الآيات والأحاديث يدل على ذلك وكفر بسببهم كثير من جهلة العوام ضعفاء العقول كما شاع وذاع في كثير من البقاع ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* وقال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى : « ثم استوى على العرش » : استوى أمره أو استولى ، وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف ، والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن . أ هـ .

* وقال العلامة الخطيب : الله تعالى لا يتصف بالأماكن والجهات والحدود ؛ لأنها صفات الأجسام ، ولأنه تعالى خلق الأمكنة وهو غير متحيز ، وكان فى أزله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان . أ هـ .

* وقال العارف الصاوى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ... ﴾ ^(١) : المراد بالفوقية القهر لا الجهة ؛ لأنها مستحيلة عليه تعالى . أ هـ .

(١). النحل : من الآية ٥٠ .

* وقال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ ...﴾ ^(١) : المراد بها توقيره وتنزيهه تعالى عن السفلى والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالأماكن والجهات والحدود ؛ لأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها ، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان ، ولا زمان ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان . أ هـ .

* وقال أبو حيان في تفسيره : معتقد أهل الحق أن الله تعالى ليس بجسم ولا جارحة له ولا يشبه بشيء من خلقه ولا يكيف ولا يتحيز ولا تخله الحوادث . أ هـ .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ...﴾ ^(٢) : إنما ذهب أهل العلم إلى الخروج عن ظاهر (في السموات وفي الأرض) لما قام عليه العقل من استحالة حلول الله تعالى في الأماكن ومماسة الأجرام ومحاذاته لها وتحيزه في جهة . أ هـ .

(١) الملك : من الآية ١٦ .

(٢) الأنعام : من الآية ٣ .

* وقال الإمام النيسابورى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ : يقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة . أه .

* وقال عماد الدين الكندى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ : حلول الله تعالى فى الأماكن مستحيل ، وكذلك مماسة الأجرام أو محاذاته لها ، أو تحيزه فى جهة ؛ لامتناع جواز التغير عليه تبارك وتعالى ، واستقرت القواعد على أن الله تبارك وتعالى لا يجوز عليه الجهة ولا الظرفية أه . بتصرف . (وقال) فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ : الفوقية تمثيل للقهر لا للقاهر . وما أغبى الحشوية وأجمدهم حيث التزموا فوقية الجهة والجسمية فيمن يستحيل عليه ذلك . فما بالحشوية إلا مكايذة المعقول ومكابرة المنقول . أه .

* وقال الحافظ بن حجر فى شرح صحيح البخارى فى تفسير الاستواء المشار إليه فى قول الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴾ : قالت المجتئمة بمعناه الاستقرار ، وهو قول فاسد ؛ لأن

الاستقرار من صفات الأجسام، ويلزم منه الحلول والتناهي ، وهو محال في حق الله تعالى ولائق بال مخلوقات . أهـ.

* وقال العلامة النووى فى شرح صحيح مسلم : مذهب السلف فى أحاديث الصفات أنه يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى مع اعتقادنا الجازم أن الله ليس كمثله شئ وأنه منزّه عن التجسم والانتقال والتحيز فى جهة وعن سائر صفات المخلوق . أهـ .

* * والخلاصة التى أريد أن ننتهى إليها ونكتفى بها — حول هذا الموضوع — ما جاء فى هامش (الفتاوى الأمينية) ، حيث يقول ، حول (بيان مذهب السلف والخلف فى المتشابهات) :

وقد قال الله تعالى فى سورة تبارك آية ١٦ :

﴿ ءَأَمْنُمْ مِّنْ فِى السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴾ ، هذه الآية نظيرها قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ الأنعام ، آية ٦٥ . وكذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ

الْأَرْضِ ﴿ القصص . صدر آية : ٨١ .

وهنا سؤال : هل الله سبحانه في السماء ؟ : احتج المشبهة بهذه الآية على إثبات المكان لله ، وهي قوله تعالى : « أأنتم من في السماء ؟ » .

والجواب : أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين ؛ لأن كونه سبحانه في السماء يقتضى كون السماء محيطا به من جميع الجوانب فيكون سبحانه أصغر من السماء ، والسماء أصغر من العرش بكثير ، بل وأصغر من الكرسي ، الذى وسع السموات والأرض ، فيلزم أن يكون الله شيئا صغيرا بالنسبة إلى العرش ، وذلك محال ، ولأنه تعالى قال : « قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ » الرعد صدر آية : ١٦ ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ الأنعام آية : ٣ فهل يعقل أن تكون الذات الواحدة فى مكانين فى آن واحد ؟ .

إذن يجب صرف هذه الآية وأمثالها عن ظاهرها . قال فى فتح الرحمن : هذا من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ونؤمن به ولا نتعرض لمعناه ونكل العلم فيه إلى الله .

وفى فتح البارى : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التى جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ فى صفة الرب - سبحانه وتعالى - من غير تشبيه ولا تفسير . وأخرج البيهقى بسند صحيح عن سفیان بن عيينة : كل ما وصف الله تعالى به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه . وهذه طريقة الشافعى وأحمد بن حنبل .

وعلماء المالكية : اختلفوا ، فرأى بعضهم التأويل ، ورأى البعض الانكفاف عن التأويل وتفويض معانيها إلى الله . والأسلم اتباع السلف لأنهم لا يؤولون . والرسول ﷺ يقول : (آمنوا بمتشابهه واعملوا بحكمه) انظر ص ٢٠٣ ج ٤ النهاية لابن الأثير ، ولم يقل : (أولوه) ، فهو فى السماء على المعنى الذى أراد سبحانه مع كمال التنزيه ، ويجوز أن تكون الظرفية تجوزا فى التعبير مع ما عليه العرب من أنه فى السماء وهو متعال عن المكان ، ومثله حديث الجارية .

وأما رفع الأيدى إلى السماء فى الدعاء فلكونها محل البركات وقبلة الدعاء ، كما أن الكعبة قبلة الصلاة .

والخلف يقولون : ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ عذابه ،
 كما أن السماء موضع نزول الرحمة ، والمراد من كونه فى
 السموات وفى الأرض نفاذ أمره وقدرته وجريان مشيئته فى السموات
 وفى الأرض . ويجوز أن يكون المراد من قوله : « من فى السماء »
 هو الملك الموكل بالعذاب ، والمعنى أن يخسف بهم الأرض بإذن
 الله ، أو المراد الملائكة الموكلون بتدبير هذا العالم بإذن الله ، فهو
 سبحانه ليس فى جهة من الجهات ؛ لأن ذلك من صفات
 الأجسام.

ومن الآيات المتشابهات أيضا قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى
 الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، قد تعلقنا المشبهة أيضا بهذه الآية ، فى أن
 معبودهم جالس على العرش ، وهذا باطل بالعقل والنقل من
 وجوه :

(أولها) : أنه سبحانه وتعالى كان ولا عرش ولا مكان ، ولما
 خلق الخلق لم يحتج إلى مكان بل كان غنيا عنه .

(و (ثانيها) : أن الجالس على العرش لابد وأن يكون الجزء
الحاصل منه في يمين العرش غير الحاصل في يسار العرش ، فيكون
في نفسه مؤلفا مركبا ، وكل ما كان كذلك احتاج إلى المؤلف
والمركب ، وذلك محال .

(و (ثالثها) : أن الجالس على العرش إما أن يكون متمكنا من
الانتقال والحركة أو لا يمكنه ذلك ، فإن كان الأول فقد صار
محل الحركة والسكون ، فيكون محدثا لا محالة ، وإن كان الثاني .
كان كالمربوط ، بل كالزمن بل أسوأ حالا منه ، فإن الزمن إذا شاء
الحركة في رأسه وحدقته أمكنه ذلك وهو غير ممكن على معبودهم .
و (رابعها) : أن قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يتناول
نفى المساواة من جميع الوجوه ، فلو كان جالسا لوجد من يماثله
في الجلوس ، فحينئذ يبطل معنى الآية .

(و (خامسها) : قوله تعالى : ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ
يَوْمَئِذٍ مَّئِينَةٌ﴾ ^(١) . فإذا كانوا حاملين للعرش والعرش مكان
معبودهم ، فيلزم أن تكون الملائكة حاملين لخالقهم
ومعبودهم وذلك غير معقول ؛ لأن الخالق هو الذى يحفظ المخلوق ،

(١) الحاقة : ١٧ .

أما المخلوق فلا يحفظ الخالق ولا يحمله .

و (سادسها) : أن العالم كرة فالجهة التي هي فوق بالنسبة إلينا هي تحت بالنسبة إلى ساكن ذلك الجانب الآخر من الأرض وبالعكس ، فلو كان المعبود مختصا بجهة فتلك الجهة وإن كانت فوقاً لبعض الناس لكنها تحت بالنسبة لبعض آخرين . وباتفاق العقلاء لا يجوز أن يقال المعبود تحت جميع الأشياء .

و (سابعها) : أن الأمة أجمعت على أن قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ من المحكمات لا من المتشابهات ، فلو كان مختصا بالمكان لكان الجانب الذي منه يلي ما على يمينه غير الجانب الذي منه يلي ما على يساره ، فيكون مركبا منقسما ، فلا يكون أحدا في الحقيقة فيبطل قوله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

* * وعلى هذا : فلا يصح أن نشتغل بالتأويل ، بل نقطع بأن الله منزّه عن المكان والجهة ، ونترك تأويل الآيات .

فالسلف في آيات الصفات وأحاديث الصفات يفوضون بعد التنزيه ، والخلف يؤولون خوفا من التشبيه ، فكلهم متفقون على التنزيه ، وإنما الفرق بينهما أن علماء الخلف يعنون المعنى المراد ،

فيقولون مثلاً في قوله تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ : المراد باليد القدرة ، والسلف يفوضون بعد التنزيه فيقولون : إننا ننزهه تعالى عن الجارحة ولا نعين شيئاً خاصاً من المعاني التنزيهية كما يفعل علماء الخلف ، وأما أولئك المتفیهقون الذين يعينون ويشبهون ، فهم مجسمون مشبهون يبرأ منهم السلف والخلف جميعاً .

وليت شعري : أثبت هؤلاء الجاهلون كل ما ورد من تلك الظواهر فيثبتون له تعالى (يدا) بمقتضى قوله تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ^(١) . أم (يدين) بمقتضى قوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ^(٢) . أم (أيديا) عديدة بمقتضى قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ ﴾ ^(٣) . ويثبتون له (عينا) بمقتضى قوله تعالى : ﴿ وَلَنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ ^(٤) . أم (أعينا) بمقتضى قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ ^(٥) . إلى غير ذلك وهو كثير . ويقولون : إن

(١) الفتح : من الآية ١٠ .

(٢) المائدة : من الآية ٦٤ .

(٣) يس : آية ٧١ .

(٤) طه : من الآية ٣٩ .

(٥) القمر : من الآية ١٤ .

الله (فى السماء) بمقتضى قوله : ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِى السَّمَاءِ ﴾ أم
 (على العرش) بمقتضى قوله تعالى : ﴿ الرحمن على
 العرش استوى ﴾ ، أم (فى الآفاق) بمقتضى قوله تعالى :
 ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ الحديد آية : ٤ . ويثبتون له (أصابع)
 بمقتضى قوله ﷺ : (إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله)
 رواه مسلم والترمذى عن أنس . أو يثبتون له (يميننا) من نوع آخر
 لقوله ﷺ (الحجر ^(١) : يمين الله تعالى) رواه الديلمى فى
 مسند الفردوس عن عكرمة موقوفا .

وليت شعى أيضا : هل يثبتون له ما أخبر به فى قوله تعالى :
 ﴿ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَّخْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا
 وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسَابَهُ ﴾ ^(٢) . فيقولون بحلول الله
 مكان السراب فى الأرض ! وما أخبر به من أنه : ﴿ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ
 حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ، وقوله فى شأن المحتضر : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
 مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ ﴾ ^(٣) . وقوله ﷺ : فى الصحيح فى
 حق الجائع والمريض : (أما إنك لو أطعمته لوجدتنى عنده ، ولو

(١) أى الحجر الأسود .

(٢) النور - من الآية : ٣٩ .

(٣) الواقعة : آية ٨٥ . ١

عُدَّتْهُ لوجدتني عنده) رواه مسلم عن أبي هريرة ، وحديث لقاء الله لعبده على باب المسجد وتبشبه له كما يتبشش أهل الغائب بغائبهم إذا رجع إليهم . انظر ص ٨٠ ج ١ - النهاية لابن الأثير .

تم نسأل : عمن في السماء ؟ أى سماء هي ؟ هل الأولى أم الثانية ... أم السابعة الخ والآية تقول : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ ^(١) ، ثم نزوله كل ليلة حينما يحل الثلث الأخير من الليل إلى سماء الدنيا ، مع أن اختلاف المواقيت يجعل ثلث الليل الأخير يحل كل لحظة من بلد من البلاد ، فكيف نتصور معبودهم نازلا صاعدا مدة الأربع والعشرين ساعة كلها ؛ لأن ما هو ليل هنا قد يكون نهاراً هناك ؟ .

وكيف نجمع عقلا بين الظرفية في السماء ، والعلو على العرش ، ووجوده أمام المصلى : ﴿ وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ... ﴾ الخ ، ورحم الله الغزالي القائل : سبحان من استوى على العرش ، كما أخبر على الوجه الذى أراد ، وبالمعنى الذى قال استواء منزلها عن المماساة والاستمرار وعن التمكن والحلول والانتقال ، وليس العرش يحمله ولا الكرسي

(١) الطلاق : من الآية ١٢ .

يسنده ، بل العرش وحملته ، والكرسى وعظمته كل محمول
بلطف قدرته ، ومقهور فى قبضته .

وماذا يضيرنا لو قلنا : إننا نؤمن بالله وبوجوده المتيقن المؤكد
وبهيمنته على الخلق ، ولكننا لا ندرى أين هو ؟

وهل لو سألتنى سائل عن رئيس من الرؤساء ، أوجود هو ؟
فقلت نعم ، هو موجود يأمر وينهى ويصرف الأمور ، فإذا سألتنى
وأين هو ؟ فقلت له : لا أدرى ، غير أنى أوقن أنه موجود - أيكون
جوابى هذا حكما بعدم وجود الرئيس المسئول عنه ؟ اللهم إنها لا
تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

وبعد هذا ، فأى لون يشبتون له ، وأى طول وأى عرض
يصفونه به ؟ يقول الإمام الغزالى : (من أخذ علمه من العبارات
والألفاظ ضل ضلالا بعيدا ، ومن رجع إلى العقل استقام أمره
وصلح دينه) .

ولست أدرى : هل عرف هؤلاء حقيقة الروح التى يحيون بها
حتى يتعرضوا للكلام فيمن ليس كمثله شئ .. سبحانه .

قال إمام الحرمين : إن الله خلق العرش من ذرة ، وهو بالنسبة إلى قدرته أقل من ذرة ، فكيف يكون مستقره ؟

* وقال ذو النون المصري - رضى الله عنه - وقد سئل عن التوحيد : التوحيد أن نعلم أن قدرة الله فى الأشياء بلا مزاج ، وصنيعه للأشياء بلا علاج ، وعلة كل شىء صنعه ، ولا علة لصنعه ، وليس فى السموات العلا ولا فى الأرضين السفلى مدبر غير الله تعالى ، وكل ما تصور فى وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك .

* وقال يحيى الرازى رضى الله عنه وقد قيل له : أخبرنا عن الله تعالى ، فقال : إنه واحد . فقيل : كيف هو ؟ فقال : ملك قادر . فقيل : أين هو ؟ فقال : بالمرصاد . فقال السائل : لم أسألك عن هذا ؟ فقال : ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق ، فأما صفته فما أخبرت عنه .

* وقال جعفر الصادق رضى الله عنه : من زعم أن الله سبحانه وتعالى فى شىء أو من شىء أو على شىء ، فقد أشرك بالله ، إذ لو كان على شىء لكان محمولا ، ولو كان فى شىء

لكان محصورا ، ولو كان من شيء لكان محدثا ، تعالى الله عن ذلك .

* وقال بعض العلماء لتلميذ له يمتحنه : لو قال لك أحد : أين معبودك ؟ فأى شيء تقول ؟ قال : كنت أقول : حيث لم يزل . قال : فإن قال لك : فأين كان في الأزل فأى شيء تقول ؟ قال : أقول : حيث هو الآن ولا مكان ، فهو الآن على ما عليه كان . قال التلميذ : فارتضى الشيخ ذلك .

* * والخلاصة : أن أحاديث الصفات ليست على ظاهرها ، وأن لها تأويلات تليق بجلال الله تعالى ولا تقطع بتعيين تأويل منها ، بل تكل ذلك إلى العليم الخبير ، ولكن لابد من التنزيه على كل حال ^(١) .

* * فلاحظ كل هذا - أخا الإسلام - حتى لا تضل أو تزل ، وحتى تكون أيضا في نفس الوقت سليم العقيدة .. وحسبك بعد كل هذا أن نتنفع بقول (جلال الدين

(١) راجع ٤، ٥، ٦، ج ٦ الفخر الرازي ، ومجلة نور الإسلام السنة الثانية ص ٢٨٢ .

السيوطي) (١) رحمه الله تعالى :

قل لمن يفهم عنى ما أقول
قصر القول فذا شرح يطول
هو سر غامض من دونه
ضربت - والله - أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا
قدر من أنت ولا كيف الوصول
لا ، ولا تدرى صفات ركبت
فيك حارت في خفاياها العقول
أين منك الروح في جوهرها
هل تراها فتري كيف تجول ؟
هذه الأنفاس هل تحصرها ؟
لا ، ولا تدرى متى منك تزول

(١) وقد قرأت في كتاب (إتحاف الكائنات) للإمام الشيخ محمود خطاب السبكي :
أن قاتل هذا هو الإمام الغزالي عليه رحمة الله ... والله أعلم

أين منك العقل والفهم إذا
غلب النوم فقل لي يا جهول ؟
أنت أكل الخبز لا تعرفه
كيف يجرى منك أم كيف تبول
فإذا كانت طواياك التي
بين جنبيك كذا فيها خلول
كيف تدري من على العرش استوى
لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف تجلى الله أم كيف يرى
فلعمري ليس ذا إلا فضول
هو لا كيف ولا أين له
وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له
وهو في كل النواحي لا يزول

جل ذاتاً وصفاتٍ وسما
وتعالى قدره عما أقول

*** ولتكن عقيدتك :

عقيدة أهل السنة

التي خلاصتها : أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد اعتقاداً
جازماً بأن الله تعالى إله واحد ، منزه عن الشريك والمعين ،
والصاحبة والولد .. موجود بذاته من غير افتتاح لوجوده ، ولا نهاية
لبقائه .. مستغن عن كل ما سواه ، ومفتقر إليه كل ما عداه ..
قائم بنفسه .. ليس بجوهر متحيز فيحتاج إلى مكان ، ولا بعرض
فيستحيل عليه البقاء ، ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء .. مقدس
عن الجهات والأقطار ، مرئى للمؤمنين بالقلوب فى الدنيا وفى
الآخرة بالأبصار .. استوى على العرش كما قال وعلى المعنى
الذى أراد ، له الآخرة والأولى ، لا يعود حفظ المخلوقات ، وهو
موجود بعلمه فى جميع الجهات ، مقدس عن القبل والبعد ، فإن
ذلك من صفات الزمان الذى أبدعه ، فهو سبحانه لا يحده زمان
ولا يقله مكان .. بل كان ولا مكان ولا زمان ، وهو الآن على ما

عليه كان ، السموات والأرض ومن فيهن جميعا منه ، خلق اللوح والقلم وأجراه كاتباً بعلمه فى خلقه ، فلا تتحرك ذرة إلا إليه وعنه ، أوجد الكل من غير حاجة إليه ، ولا موجب ذلك عليه ، إلا أن علمه قد سبق ، فلذلك خلق من خلق ، لم تتعلق قدرته إلا بما أراد ، كما أنه لم يرد إلا ما علم ، وأحاط بكل شئ علماً ، وأحصى كل شئ عدداً ، يعلم السر وأخفى ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١) . علم الأشياء قبل وجودها ، ثم أوجدها على حد ما علمها ، يريد لجميع الكائنات فى الأرضين والسموات ، فما فى الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولا خسران ، ولا حياة ولا موت ولا حصول ولا فوت ، ولا متحرك ولا ساكن . ولا ظاهر ولا باطن ، إلا وهو مراد للحق جل وعلا ، ولا معقب لحكمه ، ولا راد لأمره ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، أخرج العالم فريقين ، وأوجد لهم منزلتين ، فقال : هؤلاء للجنة ولا أبالى ، وهؤلاء للنار ولا أبالى ، لم يتصرف فى ملك غيره فلا ينسب إليه الظلم والحيف ، ولا يتوجه إليه من الغير سؤال يلم أو

(١) الملك : ١٤ .

كيف ، فهو سبحانه كما قال فى كتابه المكنون : ﴿ لَا يُسْتَلْ
عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾^(١) .

فإن رأيت من لم يخضع لهذا الاعتقاد فاصرف النظر عنهم ،
وقل : ﴿ ... فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيَّةُ ، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٢)
يسمع ديب النملة على الصخرة الصماء ، ويصر السواد فى
الظلماء ، متكلم لا عن صمت تقدم ، ولا سكوت متوهم ،
بكلام قديم أزلى ، منزه عن الحروف والأصوات ، وعن جميع
آلات النطق واللهاة ، كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان ،
وبصره من غير حدقة ولا أجفان ، وعلمه من غير نظر ولا برهان ،
وحياته من غير بخار حدث عن امتزاج الأركان .

وبالجملة .. فهو سبحانه وتعالى متصف بكل كمال ، ومنزه
عن كل نقص ، إذ هو الكبير المتعال ، فلا يشبه شيئا من الحوادث ،
بل كل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك .

وكذلك يجب اعتقاد أن لله تعالى أنبياء ورسلا ، مبشرين
ومنذرين ، وأن سيدنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين ،

(١) الأنبياء : الآية ٢٣ .

(٢) الأنعام : من الآية ١٤٩ .

بعث إلى كافة الخلق أجمعين .. وقد خاطبه الله تعالى بقوله :
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ٤٥ وداعياً
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿١﴾ .

فبلغ جميع ما أنزله الله إليه ، وأدى الأمانة ، ونصح للخليقة ..
صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

ويجب اعتقاد أن كل ما جاء به النبي ﷺ حق ، ومن جملة
ما جاء به أن الموت حق ، وأن سؤال القبر حق ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ
ءَاتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ ٢ وأن العرض
حق ، وأن الميزان حق ، وأن الحوض حق ، وأن الصراط حق ، وأن
تطاير الصحف حق ، وأن الجنة والنار حق ، وأن فريقا في الجنة
وفريقا في السعير ، وأن شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء
وصالحى المؤمنين حق ، وأن كل ما جاء به الأنبياء عن الله حق .
فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة .. فاعمل بها ومت عليها . أ هـ

(١) الأحزاب : الآيتان ٤٥ و ٤٦

(٢) الحج : الآية ٧ .

وأما عن الصفة الخامسة من الصفات الواجبة في حق الله تعالى ، وهي :

(٥) قيامه تعالى بنفسه : فمعناها أنه تعالى موجود بلا موجد ، وغنى عن كل ما سواه ، لقوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ^(١) وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ..﴾ ^(٢) ، ولأنه لو احتاج إلى شيء لكان حادثا ، وحدوثه محال ، فاحتياجه محال .

ومعناها أيضا : أنه (سبحانه) ليس مفتقرا إلى غيره ، فليس صفة في حاجة إلى موصوف تقوم به ، ولا جسما في حاجة إلى محل يشغله أو إلى أجزاء يتركب منها أو موجد يوجده ويخصمه ببعض ما يجوز عليه ، فهو الغنى المطلق عن كل ما سواه .

ليس صفة ؛ لأنه تعالى يتصف بالصفات الوجودية : كالعلم والقدرة ، والإرادة ونحوها ، والصفة لا تقوم بالصفة ، وإنما تقوم بالموصوف .

(١) فاطر : ١٥ .

(٢) محمد : من الآية ٣٨ .

وليس جسما مفتقرا إلى المحل أو الموجد ؛ لأنه لو كان كذلك
لكان حادثا وممثلا للممكنات ، وواجب الوجود القديم ، مخالف
للحوادث ، كما مر بك .

وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنِ اللّٰهُ لَغْنٰى عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(٦) الوجدانية ، فى الذات ، والصفات ، والأفعال : ومعناها أن
ذاته ليست مركبة ، وليس لغيره ذات تشبه ذاته ، وأنه ليس له
صفتان من جنس واحد كقدرتين وعلمين ، وليس لغيره
صفة كصفته ، وأن الأفعال كلها خيرها وشرها اختياراتها
واضطرابها مخلوقة لله وحده بلا شريك ولا معين .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ
الرَّحِيْمُ ﴾ ^(١) ، وقال ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللّٰهُ لَفَسَدَتَا... ﴾ ^(٢)
وقال : ﴿ وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٣) ،

وقال : ﴿ قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ ۝ اللّٰهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ
لَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾

(١) البقرة : ١٦٣ .

(٢) الأنبياء : من الآية ٢٢ .

(٣) الصافات : ٩٦ .

أى قل يأبها النبى لمن سألک عن صفة ربک جل وعلا : هو المعبود بحق ، المتصف بكل صفات الکمال ، الواحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، المقصود فى قضاء حوائج الخلق على الدوام ، الذى ليس بوالد ولا مولود ، ولا شبيه له ولا نظير .

فليس هناك ذات تماثل ذاته العلية ، وليس ثم من يتصف بصفة من صفات الألوهية ، أو يأتى بفعل من أفعالها سواء تعالى .
وقد ذكر فى کتاب (البحوث الدينية) بعض الأدلة على إثبات الوجدانية لله تبارک وتعالى ، فقال : ومن أدلة إثبات الوجدانية له ما يأتى :

أولا : أن العالم موجود ، ووجوده يدل على وجود الإله ؛ لأن كل أثر لابد له من مؤثر ، وهذا الإله إن كان واحدا فبها ، وإن كان معه إله آخر ، فإما أن يكون أحدهما كافيا أو غير كاف ، فإن كفى أحدهما كان وجود الآخر عبثا ، وإن لم يكف كان كلاهما عاجزا لا يصلح إلهما .

ثانيا : أن تعدد واجب الوجود معناه أن هناك آلهة لكل ذات معينة ، وصفات معينة ، وكل واحد بمقتضى وجوده وما يتبعه من

الصفات ، له التصرف فى عامة الممكنات ، ولا يعقل مع هذا أن تتفق تصرفاتهم اتفاقا تاما ، وتلتئم التثاما دقيقا لتحقيق هذا النظام الذى نراه فى الكون ، بل لابد أن تتضارب أفعالهم ، فيفسد نظام الكون ، بل يستحيل وجوده ، ولكنه كما نرى موجود محكم لا يعتريه اضطراب ، فلا بد أن يكون الإله واحدا ، قال تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١). وقال : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ .

ثالثا : لو تعددت الآلهة لحدث بينها ما يحدث بين الذوات المختلفة. من ذوى السلطان فى الأرض من التنافس والنزاع ، وتعالى بعضهم على بعض ، وتفرد كل بملكه واستقلاله فيه بما يشاء من تصرف. وتلك صورة مضحكة أن ينحاز كل فريق من المخلوقات إلى إله ، يذهب كل إله بمخلوقاته كما تصور الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها : ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمِخْلَقَتِهِ فَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبَحَنَ لِلَّهِ

(١) الأنبياء : من الآية ٢٢ .

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١﴾ .

وفى شرح الجامع الصغير للمناوى قال الأزهرى : الفرق بين الواحد والأحد أن الأحد بنى لنفى ما يذكر معه من العدد ، تقول : ماجاءنى أحد ، والواحد اسم بنى لمفتتح العدد ، تقول : جاءنى واحد من الناس ولا تقول جاءنى أحد ، فالواحد منفرد بالذات فى عدم المثل والنظير ، والأحد منفرد بالمعنى . أ هـ .

والمراد اتصافه تعالى بالوحدانية : (ذاتا) ، أى فى ذاته سبحانه ، وهو انتفاء الكثرة عن ذاته تعالى ، بمعنى عدم قبولها الانقسام والتبعيض والتجزئء وإلا لكان مركبا فى ذاته ، وكل مركب حادث كما مر .

(وفِعْلاً) ، أى فى أفعاله تعالى ، وهو انفراده تعالى باختراع الكائنات عموما وامتناع إسناد التأثير لغيره تعالى فى شئ من الممكنات .

(وصفةً) ، أى فى صفاته سبحانه ، فلا تعدد لصفة من صفاته تعالى ، بل كل صفة من صفاته واحدة ولا يتصف غيرُه بصفة تشبه صفة من صفاته تعالى .

(١) المؤمنون : ٩١ .

* * ولله در من قال في منظومته ^(١) :

معرفة الله عليك تفترض

بأنه لا جوهر ولا عَرَضُ

وليس يحويه مكان لا ، ولا

تدركه العقول جل وعلا

لا ذاته تشبهه الذوات ^(٢)

ولا حكت ^(٣) صفاته ^(٤) الصفات ^(٥)

وماله في ملكه وزير

ولا له مثلاً ولا نظير

(١) الشيخ إسماعيل بن عبد الغنى النابلسي الحنفى . رحمه الله تعالى .

(٢) الحادثة كلها ما كان منها وما لم يكن .

(٣) أى مائلت وشابهت .

(٤) أى أسماؤه الأزلية القديمة .

(٥) الأسماء كلها .

فَرَدَّ لَهُ مِنْ تَتْمِ الْمَعْرِفَةِ
وَوَاحِدَ ذَاتَا وَفِعْلًا ، وَصِفَةً
وَهُوَ الْقَدِيمُ وَحْدَهُ وَالْبَاقِي
فِي الْقَيْدِ نَحْنُ وَهُوَ فِي الْإِطْلَاقِ
حَتَّى عَلِيمٌ قَادِرٌ مَرِيدٌ
فِي خَلْقِهِ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ
وَهُوَ السَّمِيعُ وَالْبَصِيرُ لَمْ يَزَلْ
بَغَيْرِ مَا جَارِحَةٌ مِنَ الْأَزَلِ
لَهُ كَلَامٌ لَيْسَ كَالْمَعْرُوفِ
جَلَّ عَنْ الْأَصْوَاتِ وَالْحُرُوفِ
وَبِقَضَاءِ اللَّهِ وَالتَّقْدِيرِ
جَمِيعُ مَا يَجْرِي مِنَ الْأُمُورِ
وَكُلُّ مَا يَوْجَدُ مِنْ فِعْلِ الْبَشَرِ
فَإِنَّهُ بِخَلْقِهِ خَيْرٌ وَشَرٌّ

كَلَّفَ عَبْدَهُ وَمَا قَدْ جَارَا
 وَهُوَ الَّذِي يَجْعَلُهُ مَخْتَارَا
 أَرْسَلَ رُسُلَهُ الْكَرَامَ فِينَا
 مَبْشَرِينَ بِلِئَالٍ وَمَنْذِرِينَ

(٧) الحياة : وهى صفة قديمة قائمة بالذات العلية تصحح لموصوفها الاتصاف بالعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر ، وما إلى ذلك من الصفات اللاتئة به تعالى (وحياته) ليست بروح . ودليلها قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (١) ، قوله ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ... ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ... ﴾ (٣) .

وهناك فرق بين حياة الله وحياة عباده ، فحياته كوجوده واجبة لا تقبل الانتفاء ، أزلية لا أول لها ، وأبدية لا نهاية

(١) آل عمران : الآية ٢ .

(٢) طه : من الآية ١١١

(٣) الفرقان : من الآية ٥٨ .

لها ، أما حياة العباد فهي ممكنة ، حادثة تبدأ وتنتهى بإرادة الله ، كما أن حياته جل شأنه منزهة عن الأعراض التى تتمثل بها حياة العباد ، من وجود الروح ، وسريانها فى الأعضاء ، وقيام كل عضو منها بوظيفة خاصة ، وما يستتبع ذلك من الحركة ، والنماء ، والحاجة إلى التغذية ، وعوامل الحياة ، ثم ما يعقبه من التدهور والموت ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

والدليل العقلى على ثبوت صفة الحياة لله تعالى : أنه لو لم يتصف بها لاتصف بضدها وهو الموت ، ولو اتصف بالموت لما صح اتصافه بالعلم والإرادة وباقي صفات المعانى والمعنوية ؛ إذ يستحيل أن يكون غير الحى عالما مريدا ، لكن ثبت اتصافه بتلك الصفات ، فوجب اتصافه بالحياة .

والدليل النقلى : هو قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ ... ﴾ (١) .

(٨) العلم : وهو صفة وجودية قائمة بذاته تعالى تحيط بكل موجود واجبا كان أو جائزا ، وبكل معدوم مستحيلا كان أو

(١) الفرقان : من الآية ٥٨ .

ممكنا . فهو تعالى يعلم وجود ذاته وصفاته وأنها قديمة لا تقبل
العدم . ويعلم أنه لا شريك له وأن وجود الشريك محال . ويعلم جواز
حدوث الممكن وعدمه . ويعلم في الأزل عدد من يدخل الجنة
ومن يدخل النار جملة واحدة ، فلا يزداد في ذلك العدد ولا ينقص
منه . ويعلم أفعالهم وكل ما يكون منهم . ويعلم أنه عالم بكل
الأمور لا تخفى عليه خافية .. قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ
وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ إِنَّا كَمَا إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ ... يَعْلَمُ مَا
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ... ﴾ ^(٣) ، وقال : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ... ﴾ ^(٤) ، وقال : ﴿ يَعْلَمُ
خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ ^(٥) ، وقال : ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ
يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ ﴾ ^(٦) .

(١) الملك الآية ١٤ .

(٢) طه : الآية ٩٨ .

(٣) البقرة ، من الآية ٢٥٥ .

(٤) الحشر : من الآية ٢٢ .

(٥) غافر : ١٩ .

(٦) الأنفال : الآية ٧٥ .

ومن الأدلة العقلية على هذا : أنه تعالى لو لم يكن عالما لكان جاهلا ، ولو كان جاهلا لكان حادثا ، وحدوثه محال لما سبق ، فالجهل عليه تعالى محال .

وعلم الله تعالى ، لا يماثل علم المخلوقات بوجه من الوجوه ؛ لأن علمه تعالى واجب لذاته وليس عارضا أو مكتسبا بأية آلة أو وسيلة ، وهو أزلى قديم باق لا ينفك عن الذات ، كما أنه عام شامل لجميع الواجبات ، والمستحيلات والممكنات ، من كليات العالم وجزئياته ، فيعلم - سبحانه - الواجب وأنه واجب ، ويعلم المستحيل واستحالته ، كما يعلم الممكن سواء أكان موجودا أم معدوما ، سيوجد أم لا يوجد ، لا يعزب عن علمه تعالى شيء في الأرض ولا في السماء .

أما علم العباد فعارض مكتسب ، وحادث يتجدد في كل زمان ، وهو - كوجودهم - له أجل ينتهى عنده ، ثم هو قاصر محدود ، فما أكثر ما يجهل العباد من حقائق الكون ومخلوقات الله ، قال تعالى :

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١) ، وقال ﴿... وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

(٩) الإرادة : وهى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه كوجود المخلوق فى زمن دون غيره ، وفى مكان دون آخر ، وهكذا ، لقوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ...﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾^(٥) ، وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ...﴾^(٦) ، وقوله تعالى : ﴿... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ...﴾^(٧).

(١) العلق : ٥ .

(٢) النحل : من الآية ٨ .

(٣) القصص : من الآية ٦٨ .

(٤) الشورى : الآية ٤٩ .

(٥) البروج : الآية ١٦ .

(٦) الأنعام : من الآية ١٢٥ .

(٧) البقرة : من الآية ١٨٥ .

وقد قرأت توضيحاً لهذا في (البحوث الدينية) جاء فيه :
فالإنسان مثلاً يقبل أن تتوارد عليه صفات متعددة : من طول أو
قصر ، وبياض أو سواد ، وملاحة أو قبح ، وذكاء أو غباوة ، ونحو
ذلك ، كما يقبل أن يكون مؤمناً أو كافراً ، وأن يكون برّاً تقياً ،
أو جباراً عصياً .

وتخصيص الله له ببعض هذه الصفات دون بعض هو مفهوم
الإرادة بالنسبة له ، وهكذا سائر الممكنات . فإن إرادته تعالى تتعلق
بها تعلق تخصيص ، بمعنى أنها تخصص في الأزل كل ممكن
بصفات معينة يوجد عليها ، وفي زمن خاص يوجد فيه .

أما الواجبات والمستحيلات فلا تتعلق بها الإرادة ؛ لأن الواجب
موجود لا يقبل الانتفاء ، والمستحيل معدوم لا يقبل الوجود ، فلا
معنى للإرادة معهما . وليس معنى الإرادة في جانب الله تعالى ما
يتبادر إلى الذهن من الرغبة في تنفيذ شيء أو العدول عنه ؛ لأن
هذه الحالة تعد نقصاً في جانبه تعالى ؛ إذ هي تقتضي قصور العلم ،
وعدم الإحاطة ، والتردد بين البواعث على الفعل أو الترك ، وهذا
محال عليه جل شأنه .

إن إرادته واجبة ، قديمة ، باقية ، تامة ، ولا كذلك إرادة العباد فهي ممكنة كذواتهم ، حادثة ، فانية ، قاصرة تقف عند حد خاص ، ولا تتناول إلا بعض الممكنات .

ومما يدل على ثبوت الإرادة له - سبحانه - أنه لو لم يكن مريداً لحدث في ملكه مالا يقصده أو ما أمكره عليه ، وذلك عجز لا يليق بكماله تعالى ... ثم يقول :

وقد ثبت لك أنه واجب الوجود ، وأن كل شيء من الممكنات مخلوق له ، وأنه يوجد على قدر مخصوص ، وصفات معينة ، وفي زمان ومكان محددين ، وهذه إما أن تكون على وفق علمه تعالى أو لا ، فإن كانت موافقة له فتلك هي الإرادة التي يعنيها علماء الكلام .

وإن كانت غير موافقة له ، كان هذا العلم ناقصا ، وقد ثبت كماله فيما تقدم ، قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، وَيَخْتَارُ... ﴾ (١) ، وقال : ﴿ فَعَالٌ لِّمَآ يُرِيدُ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٣) .

(١) القصص : من الآية ٦٨ .

(٢) البروج : ١٦ .

(٣) القمر : ٤٩ .

وهنا نعرض لشبهة كثيرا ما تتردد على الأذهان ، مثيرة للحيرة والاضطراب ، وهى : ما دام كل شىء يحدث على وفق علم الله ، وعلى حسب ما أراده ، فكيف يحاسب الإنسان على أفعاله ، وهو لا يستطيع أن يأتى بشىء لم يعلمه الله ، ولم يرده ، أو يتخلى عن شىء علمه وأراده ؟

وتلك هى مشكلة القضاء والقدر ، والجبر والاختيار التى شغلت أذهان الباحثين من علماء الكلام ، واختلفوا فيها اختلافا كثيرا .

* * * ولهذا ، فإننى أرى - وقبل أن أعود مرة أخرى إلى إتمام هذا الموضوع - أن نقف هنا على ما جاء فى كتاب « تهذيب شرح الخريدة » تحت عنوان :

الإرادة والأمر

مذهب أهل السنة فى إرادة الله تعالى :

ذهب أهل السنة إلى القول بأن الله تعالى يريد الخير والشر ، وأن كل ما يتحقق فى الكون من خير أو شر فهو مراد له تعالى سواء أمر به أو لا ، وأن كل ما لم يتحقق فى الكون فهو غير مراد له

تعالى سواء أمر به أو لا .. فالأقسام أربعة :

- ١ - مأمور به ومراد .
- ٢ - مأمور به ومراد .
- ٣ - مأمور به ومراد .
- ٤ - وعكسه (١) .
- ٥ - وعكسه (٢) .

واستدلوا على مذهبهم هذا بأدلة كثيرة منها :

١ - إجماع الأمة من عهد النبوة على القول بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وقد ورد هذا اللفظ مرفوعاً إلى النبي ﷺ فيكون سنداً للإجماع .

٢ - الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ (٣) .

* * وأما مذهب أهل السنة في الإرادة والأمر :

فقد ذهب أهل السنة إلى أن الإرادة غير الأمر ، وأنه لا تلازم بينهما ، أما أن الإرادة غير الأمر فلأن الإرادة صفة تخصص الممكن

(١) أى أنه سبحانه قد لا يأمر بالشىء ولا يريد

(٢) أى أنه سبحانه قد لا يأمر بالشىء ويريد

(٣) الأنعام : من الآية ١٢٥ .

ببعض ما يجوز عليه ، والأمر يرجع للكلام النفسى كالنهى . وأما أنه لا تلازم بينهما فلائهما قد يجتمعان فى شىء كإيمان أبى بكر وقد ينفردان كما فى إيمان أبى جهل ، فإنه مأمور به غير مراد ، ومما يدل على تغاير الإرادة والأمر وعدم تلازمهما قوله ﷺ ، (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) لأن معنى (ما شاء الله) ما أراد الله وقوع ، فيؤخذ منه صراحة أن الإيمان من الكفار غير مراد لله - مع أنه أمر به ؛ لأنه تعالى لو أراد له لوقع . ومعنى (وما لم يشأ لم يكن) : وما لم يرد له لا يقع ، فيؤخذ منه صراحة أن المعاصى مرادة لله - مع أنه تعالى لم يأمر بها بل نهى عنها : ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ...﴾ (١) - لأنه تعالى لو لم يرد لها لما وقعت .. ويتفرع على مذهب أهل السنة

- ١- أن الله يأمر بشىء ويريد كإيمان المؤمنين .
- ٢- وقد لا يأمر بشىء ولا يريد كالكفر من المؤمنين .
- ٣- وقد يأمر بشىء ولا يريد كالإيمان من الكافرين .

(١) الأعراف : من الآية ٢٨ .

٤- وقد لا يأمر بشيء ويريد ككفر الكافرين .

فاعلم أن أهل السنة بنوا مذهبهم في إرادة الله على مذهبهم في الإرادة والأمر .

* * وأما مذهب المعتزلة في إرادة الله تعالى فقد ذهب المعتزلة إلى القول بأن الله تعالى يريد الخير ولا يريد الشر ، وبنوا مذهبهم هذا على مذهبهم في الإرادة والأمر :

فقد ذهب بعض المعتزلة إلى أن الإرادة عين الأمر ، فأمر الله بشيء عين إرادته لذلك الشيء .. وذهب آخرون منهم إلى أن الإرادة تغاير الأمر إلا أن بينهما تلازما في التعلق ، فما أمر به تعالى أراده ، وما لم يأمر به لم يرده ، وبنى الفريقان على هذا المذهب أن الله تعالى لا يريد المعاصي كما ذكرنا آنفا ، ويلزم على هذا المذهب أمران :

١- أن يقع في ملكه تعالى ما لا يريد ؛ لأنهم قالوا إنه تعالى لم يرد

المعاصي لأنه لم يأمر بها ، مع أن المعاصي قد وقعت بالفعل .

٢- أن يتخلف مراد الله تعالى ؛ لأنهم قالوا إنه تعالى أراد الإيمان

من جميع الناس لأنه أمرهم به إلا أن منهم من آمن ومنهم من

كفر ، فإيمان من كفر قد تخلف .. وهذان الأمران باطلان على مذهب أهل السنة .

وأدلتهم على هذا - وهو أن الله تعالى لا يريد المعاصي : فقد استدلل المعتزلة - هؤلاء - على أن الله لا يريد المعاصي بأدلة منها :

١ - أن المعاصي قبيحة ، وإرادة القبيح قبيحة ، كما أن خلق القبيح عندهم قبيح ، والله تعالى منزّه عن القبائح ، فهو لا يريدّها ولا يخلقها أيضاً ، فعندهم أن أكثر ما يقع من أفعال العباد ليس بإرادة الله ولا بخلقه وإيجاده ، وإنما هو بمراد العبد وإيجاده .

٢ - أنه تعالى لو أراد المعاصي لأمر بها ، لكنه لم يأمر بها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ (١) فلم يردّها .

واعترض أهل السنة على الدليل الأول ، بأن إرادة القبيح ليست قبيحة ، إنما القبيح اكتساب القبائح والاتصاف بها ، واعترضوا على الثانى ، بأنه مبنى على القول باتحاد الإرادة والأمر أو تلازمهما ، وقد بينا أنه لا اتحاد ولا تلازم بينهما ، فلا يلزم من عدم الأمر بالمعاصي عدم إرادتها ، بل يريدّها ولا يأمر بها ، وإلى

(١) الأعراف : من الآية ٢٨ .

هذا أشار صاحب (الخريدة) بقوله :

... ..

وكل شئ كائن أراد

وإن يكن بضده قد أمرا

فالقصد غير الأمر فاطرح المرأ

فقد علمت أربعا أقساما

فى الكائنات فاحفظ المقام

المعنى (كائن) أى موجود خيرا كان أو شرا (أراد) أى
أراد الله وجوده ، فلا يقع فى ملكه إلا ما يريد . وهذه إشارة لمذهب
أهل السنة فى الإرادة (وإن يكن بضده قد أمرا) أى بضد ذلك
الكائن المراد ، أى وإن كان ذلك الكائن قد أمر الله تعالى بضده
ككفر أبى جهل فإنه كائن ، وقد أمر الله بضده وهو الإيمان ونهى
عن الكفر ، ومع ذلك هو مراد الله تعالى بدليل وقوعه (فالقصد
غير الأمر) أى فالإرادة مغايرة للأمر ، بل ولا تستلزمه كما أن
الأمر لا يستلزمها ، وهذا إشارة إلى مذهب أهل السنة فى الإرادة

والأمر (فاطرح المرا) أى فاترك الجدال والنزاع الباطل من المعتزلة
الذاهبين إلى أنه تعالى يقع فى ملكه ما لا يريد - وقد بينا مذهبهم
فيما سبق - (فقد علمت) من قولنا : وكل شئ كائن أراد -
وإن يكن بضده قد أمرا - منطوقا (وهو إن شاء وقع وإن لم يأمر به)
ومفهوما ، (وهو إن لم يشأ لم يقع وإن أمر به) . (أربعا أقساما)
أقساماً عطف بيان لأربع (فى الكائنات) جمع كائنة أى فى
الموجودات ، وهذا إشارة للأقسام الأربعة المتفرعة من مذهب أهل
السنة (فاحفظ) هذا (المقاما) فإنه قد زلت فيه أقدام المعتزلة .

* * والخلاصة التى نريد أن نعود إليها هى كما جاء فى

« البحوث الدينية » :

أنه سبحانه وتعالى عليم محيط بأحوال خلقه من الأزل إلى
الأبد، وأن كل ما يحدث فى ملكه يقع على وفق علمه ، فهو
يعلم حالة عبده ، وما يكون منه من كفر وإيمان ، ومعصية وطاعة ،
وإساءة وإحسان ، لابد أن يكون ما يصدر عن العبد موافقا لهذا
العلم.

ولكن هذا الانكشاف لا أثر له فى توجيه الإنسان وجهة
خاصة ، ولا فى إكراهه على سلوك ناحية معينة ؛ لأن العلم ليس

صفة مؤثرة .

والمرء لا يدري ما قدر له ، ولتستبين ذلك نسوق لك هذا المثال: إن الفلكي يستطيع بمقاييسه وقوانينه أن يخبر عن خسوف للقمر يحدد يومه وزمنه بالساعة والدقيقة ، ومدة مكثه ومقداره ، والأقاليم التي يشملها ، ثم يحدث هذا كله طبقا لما أخبر به تماما . فهل كان علمه مؤثرا في حدوث هذا الخسوف ؟

كلا إن العلم لا أثر له في شيء من ذلك ، وإنما هو مجرد إحاطة وانكشاف .

وكذلك إرادة الله ليست إلزاما منه لعبده أن يأتي بأفعال خاصة، وإنما هي تقدير هذه الأفعال حسب علمه تعالى بما سيكون من الشخص من رغبة في الخير وإقبال عليه ، أو زهد فيه وإعراض عنه، وبما يسوقه إليه اختياره من الطاعة أو المعصية .

فللمرء اختياره وقدرته على تصريف شئونه ، والإقدام على فعل الشيء أو تركه ، وعلم الله الواسع الشامل يكشف ما سيكون منه من خير أو شر .

وإرادته تعالى تبعا لهذا العالم تخصص ما سيقع من أفعاله ،
وليس في هذا كله شيء من الجبر أو الإكراه ، كما لا يخفى .

ولو رجع الإنسان إلى نفسه لرأى أنه يشعر باختياره إلى حد
كبير ، وأنه يزن الأمور ويقدرها بعقله ، ثم يفعل ما يفعل ، ويدع
ما يدع بإرادته ، وبسبب هذا الاختيار وتلك القدرة يعاقب الإنسان
أو يثاب على عمله ، ولو كان مكرها على أفعاله ما كان خليقا
بإثابة ، ولا مستحقا لعقاب ، ومن أجل هذا رفع الشرع عن
الشخص تبعة الأعمال التي يأتيها من غير قصد واختيار . قال ﷺ :
(رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ) .

* * وإتماما للفائدة في هذا الباب بالذات أرى أن أسجل هنا
مسألتين من المسائل التي أوردها صاحب كتاب (معارج القبول) ،
وهما :

* المسألة الأولى ، يقول فيها :

فإن قيل قد أخبرنا الله عز وجل في كتابه وعلى لسان رسوله
وبما علمنا من صفات أنه يحب المحسنين ، ويحب المتقين ،

ويجب الصابرين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولا يحب الظالمين ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد ، مع كون ذلك بمشيئته وإرادته وأنه لو شاء لم يكن ذلك ، فإنه لا يكون فى ملكه ما لا يريد ، فما الجواب ؟ قلنا :

إن الإرادة والقضاء والأمر كل منها ينقسم إلى كونى وشرعى ، ولفظ المشيئة لم يرد إلا فى الكونى ، كقوله تعالى :

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ... ﴾ (١) .

ومثال الإرادة الكونية قوله تعالى : ﴿ ... وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ أَفْلًا مَرَدَّهُ ... ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٣) .

ومثال القضاء الكونى قوله تعالى : ﴿ ... وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٤) .

(١) الإنسان : من الآية ٣٠ .

(٢) الرعد : من الآية ١١ .

(٣) يس : ٨٢ .

(٤) البقرة : من الآية ١١٧ .

ومثال الأمر الكوني قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۖ ﴾^(١). فهذا القسم من الإرادة والقضاء والأمر هو مشيئته الشاملة ، وقدرته النافذة ، وليس لأحد خروج منها ولا محيد عنها . ولا ملازمة بينها وبين المحبة والرضا ، بل يدخل فيها الكفر والإيمان ، والسيئات والطاعات ، والمحبوب المرضى له ، والمكروه المبغض ، كل ذلك بمشيئته وقدره وخلقه وتكوينه ، ولا سبيل إلى مخالفتها ولا يخرج عنها مثقال ذرة .

ومثال الإرادة الشرعية قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ... ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي فِيكُمْ وَيُنَظِّقَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ... ﴾^(٣) وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾^(٤)

(١) الإسراء : ١٦ .

(٢) البقرة : من الآية ١٨٥ .

(٣) النساء : من الآية ٢٦ .

(٤) النساء : ٢٧ .

ومثال القضاء الشرعى ، قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنُوا ۖ ﴾ (١) .

ومثال الأمر الشرعى ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

وهذه الإرادة والقضاء والأمر الشرعى هو المستلزم لمحبة الله تعالى ورضاه ، فلا يأمر إلا بما يحبه ويرضاه ، ولا ينهى إلا عما يكرهه ويأباه . ولا ملازمة بين هذا القسم وما قبله إلا فى حق المؤمن المطيع ، وأما الكافر فينفرد فى حقه الإرادة والقضاء ، فالله سبحانه وتعالى يدعو عباده إلى طاعته ومرصاته وجنته ويهدى لذلك من يشاء فى الكون والقدر هدايته ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣) ، فعمم الدعوة إلى جنته التى هى دار السلام وأنه

(١) الإسراء : من الآية ٢٣ .

(٢) النحل : ٩٠ .

(٣) يونس : ٢٥ .

يدعو إلى ذلك جميع عباده وهو أعلم بمن يستجيب ممن لا يستجيب ، وخص الهداية بمن يشاء هدايته كما قال تعالى :
﴿... يَهْدِي اللَّهُ لِنُورٍ مِّنْ نَّشَاءٍ...﴾ (١) .

* وفي المسألة الثانية يقول :

فإن قيل : أليس بممكن في قدرته تعالى أن يجعلهم كلهم طائعين مؤمنين مهتدين ؟ قلنا :

قدما لك أن هذا الذى فعله بهم هو مقتضى حكمته وأسمائه وصفاته وموجب ربوبيته وإلهيته ، وهو أعلم بمواقع فضله وعدله ، فحيث قد قول القائل : لم كان من عباده الطائع والعاصي ؟ كقول من قال : لم كان من أسمائه الضار النافع ، والمعطى المانع ، والخافض الرافع ، والمنعم والمنتقم ونحو ذلك . إذ أفعاله تعالى هي مقتضى أسمائه وآثاره وصفاته .

فالاعتراض عليه في أفعاله اعتراض على أسمائه وصفاته ، بل وعلى إلهيته وربوبيته ، فسبحان رب العرش عما يصفون ،

(١) النور : من الآية ٣٥ .

﴿ لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ﴾ (١)

* * * وقد قرأت حول هذا المعنى الأخير أن شيطاناً من شياطين الإنس جلس فى مجلس الإمام الشافعى رضى الله عنه ، ثم وجه إليه السؤال الآتى بـغية إحداث فتنة أو خلخلة فى عقول ضعفاء الإيمان ، فقال : يا إمام المسلمين ، ما قولك فىمن خلقتى كما اختار ، واستخدمنى فيما اختار.. وبعد ذلك إن شاء أدخلنى الجنة ، وإن شاء أدخلنى النار ، أعدّل فى ذلك أم جار ؟

فقال الإمام بنور من الله تبارك وتعالى : يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك ، وإن كان خلقك لما يريد هو فلا يسأل عما يفعل .

* * * ومن أجمل ما قرأت كذلك حول هذا الموضوع ما رواه النيسابورى فى تفسيره بإسناده :

* أن على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - سأل سائل عن القدر، فقال : بحر عميق لا تخض فيه ، فقال : يأمرير المؤمنين ،

(١) الأنبياء : ٢٣ .

أخبرني عن القدر ؟ فقال : سر خفى لا تفشه ، فقال يا أمير المؤمنين ، أخبرني عن القدر . فقال على رضى الله عنه : يا سائل ، إن الله تعالى خلقك كما شاء أو كما شئت ؟ فقال : كما شاء . فقال : إن الله يبعثك يوم القيامة كما شئت أو كما يشاء ؟ فقال كما يشاء . فقال : يا سائل ، لك مشيئة مع الله أوفوق مشيئته ، أو دون مشيئته ؟ فإن قلت مع مشيئته ادعيت الشركة معه ، وإن قلت دون مشيئته استغنيت عن مشيئته ، وإن قلت فوق مشيئته كانت مشيئتك غالبية على مشيئته . ثم قال : ألست تسأل الله العافية ؟ قال : نعم . قال : فَمِنْ ماذا تسأله العافية ؟ أَمِنْ بلاء ابتلاك به ، أو من بلاء غيره ابتلاك ؟ قال : من بلاء ابتلاني به . فقال : ألست تقول : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » ؟ قال : بلى ، قال : تعرف تفسيرها ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، علمنى مما علمك الله . فقال : تفسيرها أن العبد لا قدرة له على طاعة الله ولا معصيته إلا بالله عز وجل . يا سائل ، إن الله يسقم ويداوى ، منه الشفاء ، ومنه الدواء ، اعقل عن الله عز وجل ، فقال السائل : عقلت . فقال له : الآن صرت مسلماً . قوموا إلى أخيككم المسلم فخذوا بيده . ثم قال على رضى الله عنه وأرضاه : لو وجدت رجلاً من

أهل القدر لأخذتُ بعنقه ، ولا أزال أضربه حتى أكرس عنقه ،
فإنهم يهود هذه الأمة .

* * فلاحظ كل هذا - أخا الإسلام - حتى لا تكون -
والعياذ بالله - قَدَرِيًّا ، وحتى لا تلعب شياطين الإنس والجن بك .

* * وأما عن الصفة العاشرة من الصفات الواجبة في حق الله
تعالى وهي :

(١٠) القدرة ، فهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى
يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ ^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ ... وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ ... وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
مُقْنِدِرًا ﴾ ^(٣) .

ولأنه لو لم يكن قادرا لكان عاجزا ، وعجزه محال ، كيف
وهو خالق كل شيء ؟

(١) الذاريات : ٥٨ .

(٢) التغابن : من الآية ١ .

(٣) الكهف : من الآية ٤٥ .

ومن اليسير عليك بعد أن عرفت أنه سبحانه واجب الوجود ،
وأن الممكنات قد صدرت عنه ، وكانت على حسب علمه ،
وعلى وفق إرادته - أن تسلم بأنه قادر ؛ لأن القدرة ليست شيئا أكثر
من سلطاته على تنفيذ ما علم وأراد .

على أن خلق هذا الكون الفسيح ، وإحكامه ، ونواميسه ،
وأطراد سيره ، وما به من مجالى الدقة والإبداع : لا يمكن أن
يصدر إلا عن قدرة باهرة وسلطة لا تتحد .

وكيف يكون الله عاجزا ، ومقام الألوهية يقتضى الاتصاف
بكل كمال ، والتنزه عن كل نقص ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)

* وقد أشار فى (الدين الخالص) ج ١ إلى ملاحظة هامة
بتعلق الإرادة والقدرة ، فقال :

إن الإرادة والقدرة يتعلقان بكل ممكن من أفعالنا الاختيارية. وما
له سبب له كالإحراق عند مماسة النار ، وما لا سبب له كخلق

(١) البقرة : من الآية ٢٠ .

السماء .

وتعلق القدرة فرع تعلق الإرادة الذى هو فرع تعلق العلم؛ إذ لا يوجد الله تعالى شيئا ولا يعدمه إلا إذا أراد وجوده أو إعدامه ، وقد سبق فى علمه أنه يكون أو لا يكون

(١١) السمع : وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تحيط بكل موجود واجبا أو ممكنا صوتا أو لونا أو ذاتا أو غيرها ، فهو يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء فى الليلة الظلماء بلا أذن ولا ضماخ .

(١٢) البصر : وهو صفة وجودية قديمة بالذات العلية تحيط بكل موجود - واجبا أو جائزا جسما أو لونا أو صوتا أو غيرها بلا حذقة - إحاطة غير إحاطة العلم والسمع .

والدليل على أنه تعالى سميع بصير قوله تعالى : ﴿ فَأَسْمِعْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(١) ، قوله تعالى : ﴿ ...إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ^(٢) ، ولأنه تعالى لو لم يكن

(١) غافر : من الآية ٥٦ .

(٢) الحج : من الآية ٧٥ .

سميعا بصيرا لكان أصم أعمى ، وهو نقص ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

(١٣) الكلام : وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تدل على كل موجود واجبا أو جائزا ، وعلى كل معدوم محالا أو جائزا . وليس كلامه تعالى بحرف ولا صوت ، ولا يوصف بجهر ولا سر ولا تقديم ولا تأخير ولا وقف ولا سكوت ولا وصل ولا فصل ، لأن هذا كله من صفات الحوادث ، وهى محالة عليه تعالى ، ودليله قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ ^(١) ، ولأنه تعالى لو كان غير متكلم لكان أبكم ، والبكم نقص محال فى حقه تعالى . والقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وباقي الكتب المنزلة ، تدل على بعض ما يدل عليه الكلام القديم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا

(١) النساء : من الآية ١٦٤ .

(٢) الكهف : الآية ١٠٩ .

فَقَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ ... ﴿١﴾ .

* * وحول هذه الصفات الثلاث - السمع ، والبصر ،
والكلام - قرأت تعليقا هاما في كتاب : « البحوث الدينية -
التوحيد » أرى من الخير كذلك أن أضيفه حتى ننتفع به ، وهو :

أن هذه الصفات الثلاث لا يهتدى النظر وحده إليها ، بعد أن
أثبت لواجب الوجود صفة العلم الذى يتحقق به الانكشاف التام
لجميع الكليات والجزئيات ، ولكن القرآن قد صرح بها فى كثير
من مواطنه ، قال تعالى : ﴿ أَنْ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ وقال جل
شأنه : ﴿ ... وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَعْلِيمًا ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى :
﴿ ... يَمْوِسْ إِلَى أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ يَرْسَلَنِي
وَبِكَلِمَةٍ ... ﴾ ^(٣) .

ومن أجل هذا سميت بالصفات السمعية ؛ لأن طريق إثباتها

السمع .

(١) لقمان : من الآية ٢٧ .

(٢) النساء : من الآية ١٦٤ .

(٣) الأعراف : من الآية ١٤٤ .

وليس يصعب على العقل التسليم بها والبرهنة عليها ، فيجب
الاعتقاد بها بشرط حملها على ما يناسب كماله تعالى ، ويليقي
بذاته العلية .

فالسَّمْعُ صفة تنكشف له بها الأصوات ما ظهر منها وما
خفى . والبَصَرُ صفة تنكشف له بها المرئيات دقيقها وجليلها . فهما
يتعلقان بالموجود من المسموعات والمبصرات ، ولا يتعلقان بالمعدوم
منها . ولكن سمعه تعالى وبصره يختلفان عن سمع العباد
وبصرهم ، فسمعه جل شأنه بغير أُذُن ، أو آلة ، ولا تلقى موجات
صوتية ، ولا غير ذلك من شرائط السمع المعهودة لنا . وبصره بغير
عين ولا حدقة ، ولا اتصال أشعة ، ولا مقابلة مرئي ، ولا غيرها مما
يلابس رؤيتنا المعتادة .

وسمعه وبصره في نهاية الكمال ، فهو يسمع كل مسموع ،
وبصير كل مبصر بلا فرق بين بعيد وقريب ، وظاهر وخفى ،
ودون أن يشغله شيء عن شيء ، كما أنهما ليسا من وسائل
علمه ، فَعِلْمُهُ - جل وعلا - إحاطة تامة بلا سبب أو وسيلة ،
وهما أيضا صفتان واجبتان لذاته العلية ، قديمتان بقدومه باقيتان

ببقائه ، بخلاف سمع العباد وبصرهم فى كل ذلك .
والكلام صفة يتأتى أن يفهم بها - جل شأنه - من أراد من
عباده ما شاء أن يفهمه له .

وكما يطلق لفظ العلم الذى يستعمله البشر لأنفسهم الإلهى
المحيط بكل شىء ، كذلك يطلق لفظ الكلام على هذه الصفة
الإلهية .

وهى تتعلق بالواجبات والمستحيلات والممكنات على السواء ،
فيكشف بها الله تعالى لمن يشاء من خلقه كملائكته ورسله ما
شاء من واجب ومستحيل وجائز . ولكن كلامه تعالى بلا
لسان ، ولا شفة ، ولا أعضاء نطق ، ولا حروف ولا صوت ، ثم هو
ذاتى ، قديم ، باق ، ولا كذلك كلام الحوادث . وقد لا يراد
بكلام الله هذه الصفة النفسية ، بل يراد به ما نزل على رسله من
الكتب السماوية ، وهو بهذا المعنى يعتبر حادثا مخلوقا له تعالى . ومما
يستدل به عقلا على إثبات هذه الصفة له أنه هو الذى يمنحها
خلقها ، وليس من المعقول أن يمنحهم ما لا يملك . ثم إنها كمال
فى الموجودات ، ولا يتصور أن يكون الإله أقل كمالا من مخلوقاته .

ولو لم يكن سبحانه متصفا بها لا تصف بأضدادها ، وذلك نقص ، والنقص عليه محال .

* * وقد ختم (إمام أهل السنة الشيخ محمود خطاب السبكي رحمه الله تعالى في الجزء الأول من (الدين الخالص) - الحديث عن الصفات الواجبة في حق الله تعالى ، بقوله :

وله تعالى صفات غير ذلك كالجلال ، والجمال ، والعزة ،
والعظمة ، والكبرياء ، والقوة - وهى غير القدرة - والوجه ،
والنفس ، والعين ، واليد ، والأصابع ، والقدم ، والمحبة ، والرضا ،
والفرح ، والضحك ، والغضب ، والكراهية ، والعجب ، والمكر ،
ونحو ذلك مما ورد في الكتاب والسنة ، فيجب الإيمان به بلا كيف
فنقول : له تعالى يد لا كالأيدى . ونفوض معرفة ذلك وتفصيله
إلى الله تعالى ولا نؤول أن يده تعالى قدرته أو نعمته وأمثال ذلك ؛
لأن فيه إبطال الصفة التى دل عليها الكتاب والسنة ، ولكن نقول
يده صفة له بلا كيف .. وهكذا . وغضبه ومكره واستهزاؤه غير
انتقامه وغير إرادة الانتقام ، بل من صفاته بلا كيف ، وهذا
مذهب السلف فى التشابهات . وبه نقول ، ثم يقول :

هذا ما يلزم اعتقاده ومعرفته تفصيلا من الواجب في حقه تعالى .

(وأما الواجب) معرفته إجمالا فهو أن يعتقد المكلف أن الله تعالى متصف بكمالات موجودة تليق به تعالى لا نهاية لها يعلمها الله تعالى تفصيلا ، ويعلم أنها لا نهاية لها ؛ لأنه لو انتفى عنه تعالى شيء من الكمال الذي يليق به لكان ناقصا ، والنقص محال في حقه ؛ لاستلزامه الحدوث المحال عليه تعالى .

✻ ✻ وأما عن :

المستحيل في حق الله تعالى

فيقول ما نصه :

يستحيل في حقه تعالى بالأدلة التفصيلية السابقة ثلاث عشرة صفة مقابلة للصفات الواجبة له تعالى على الترتيب السابق . وهي :

العدم ، والحدوث - وهو الوجود بعد عدم - والفناء ، ومماثلته تعالى للحوادث - (في الذات) بأن يكون جسما مركبا ، أو حالا في مكان ، أو مخصوصا بزمان ، أو موصوفا بالكبر أو بالصغر ، أو يكون

له شبيه (وفى الصفات) بأن تكون حياته كحياة الحوادث ،
وعلمه كعلمهم وهكذا (وفى الأفعال) ألا يكون مؤثرا فى
شئ ، وإنما له مجرد الكسب ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .
فهو لا يماثل موجودا ولا يماثل موجود ، ولا يحده مقدار ، ولا
تحويه أقطار ، لقوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)

(ومن المستحيل) فى حقه تعالى احتياجه لموجد أو ذات
يقوم بها . والتعدد فى (الذات) بأن يكون مركبا يقبل الانقسام أو
يكون هناك ذات كذاته (وفى الصفات) بأن يكون له صفتان من
جنس واحد كقدرتين وعلمين ، أو يكون لغيره صفة كصفته .

(وفى الأفعال) بأن يكون لغيره تأثير فى شئ من الأشياء
بطبعه أو بقوة مودعة فيه . فليست النار محرقة بطبعها ولا بقوة
خلقت فيها ، وإنما الخالق للإحراق هو الله تعالى عند خلقه النار .
ولو شاء خلق النار دون الإحراق لكان ، كما حصل لخليله سيدنا
إبراهيم عليه الصلاة والسلام . وليس الماء مرويا بطبعه ولا بقوة
خلقت فيه وإنما الخالق للرى الله تعالى عند شرب الماء . وليس
الملبوس ساترا وواقيا البرد أو الحر بنفسه ولا بقوة خلقت فيه . بل
الخالق لما ذكر هو الله تعالى عند لبس الثياب . فمن يعتقد تأثير

شئ من الأسباب فى مسيبه بطبعه فهو كافر أو بقوة خلقها الله فيه فهو فاسق . ومن اعتقد عدم تأثيرها ، وأن الله هو المؤثر ولكن يستحيل خلق السبب بدون مسيبه أو عكسه فهو مؤمن يخشى عليه إنكار معجزات الأنبياء فيكفر ، أو إنكار كرامات الأولياء فيفسق .

والاعتقاد الصحيح : اعتقاد أن المؤثر فى السبب والمسبب هو الله تعالى مع إمكان تخلف أحدهما عن الآخر خرقا للعادة .

(ومن المستحيل) فى حقه تعالى : الموت وما فى معناه كالنوم ، والإغماء . قال تعالى : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ . (ومنه) الجهل وما فى معناه كالظن ، والشك ، والوهم ، والغفلة ، والذهول ، والنسيان . (ومنه) وجود شئ من الحوادث بلا إرادته تعالى بأن يكون بطريق الطبع أو العلة . فلا يقع فى الملك والملكوت قليل أو كثير ، صغير أو كبير ، خير أو شر إلا بقضائه وقدره .

(ومنه) العجز عن ممكن ما ، والصمم وما فى معناه كسمعه الجهر دون السبر ، وكاختصاصه بالأصوات دون الذوات وسائر الموجودات (ومنه) العمى وما فى معناه كالعشا - بفتحيتين

مقصورا - : وهو عدم الإبصار ليلا - والجهر - بفتحتين : وهو عدم الإبصار نهارا . (ومنه) البكم : وهو الخرس وما فى معناه كالفهامة والعى والسكوت وكون كلامه تعالى بحروف وأصوات .
هذا ما دلت عليه استحالته فى حق الله الأدلة التفصيلية ، وهى أدلة الواجب التفصيلى ، ويجب على كل مكلف أن يعتقد بعد ذلك أن الله تعالى منزّه عن كل نقص ، كما أنه متصف بكل كمال .

❖ ❖ وقد قال صاحب (الخريدة) مشيراً إلى المستحيل فى حقه تعالى ودليل الاستحالة بقوله :

ويستحيل ضد ما تقدما

من الصفات الشامخات فاعلماً

لأنه لو لم يكن موصوفاً

بها لكان بالسوى معروفاً

وكل من قام به سواها

فهو الذى فى الفقر قد تناهى

والواحد المعبود لا يفتقر

لغيره جل الغنى المقتدر

ومعنى هذه الأبيات ^(١) هو :

(ويستحيل) عليه تعالى (ضد ما تقدم) المراد بالضد هنا
الضد اللغوى ، وهو مطلق المنافى سواء كان وجوديا أو عدميا ، فكأنه
قال : ويستحيل عليه تعالى كل ما ينافى ما تقدم (من الصفات)
أى الصفات النفسية والسلبية والمعانى (الشامخات) المرتفعات
المنزهات عن الحدوث ولوازمه (لأنه لو لم يكن موصوفا) إلى آخر
الأبيات إشارة إلى دليل استحالة أضداد الصفات الواجبة عليه تعالى ،
وبيانه : لو لم يكن الله تعالى متصفا بالصفات الواجبة لانصف
بأضدادها ، ولو انصف بأضدادها لكان محتاجا ، كيف والواحد
المعبود لا يفتقر لغيره ، جل الغنى المقتدر على كل شىء وكل

(١) كما جاء فى كتاب « تهذيب شرح الخريدة » ص ٣٦ .

شيء إليه فقير .

*** كما جاء أيضا في (الدين الخالص) ج ١ تحت

عنوان:

الجائز في حق الله تعالى

ما نصه الذي نريد كذلك أن نفهمه ، وهو أنه :

يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه ، فهو متفضل بالخلق والاختراع والتكليف والإنعام والإحسان لا عن وجوب ولا إيجاب. فلا يجب عليه شيء مما ذكر . ولا يستحيل عليه تعالى فعل ما يضر عباده ، بل يجوز أن يفعله بهم بطريق العدل ؛ إذ للمالك أن يتصرف في ملكه بما شاء . فهو الخالق للإيمان والطاعة والسعادة والعافية ، وسائر النعم فضلا منه وإحسانا . وهو الخالق للكفر والمعاصي والشقاوة والأمراض والفقر ونحو ذلك عدلا منه في مملوكه ، قال تعالى : ﴿ ..وَاللَّهُ يَخْنَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(١) وقال : ﴿ وربك يخلق ما يشاء

(١) البقرة : من الآية ١٠٥ .

ويختار ... ﴿١﴾ وقال : ﴿فَقَالَ لِمَ يُرِيدُ﴾ ﴿٢﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...﴾ ﴿٣﴾ . وقال : ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلَا هَادِيَ لَهُ...﴾ ﴿٤﴾ وقال : ﴿لَا يُسْتَأْذَنُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلَوْنَ﴾ ﴿٥﴾ : فيجوز في حقه تعالى عقلا (تعذيب) المطيع عدلا منه ؛ لأنه الخالق للطاعة مع تنزهه عن الانتفاع بها . وإنما ينتفع بها العبد الذي وفقه الله لكسبها ، (وإثابة) العاصي فضلا منه ؛ لأنه الخالق للمعصية مع تنزهه عن التضرر بها ، وإنما يتضرر بها من خذله الله باكتسابها عدلا منه ، قال تعالى : ﴿... وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿٦﴾ ، وقال : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٧﴾ ، وقال : ﴿... وَإِنْ تُبَدُّوا

(١) القصص : من الآية ٦٨ .

(٢) البروج : ١٦ .

(٣) النحل : من الآية ٩٣ .

(٤) الأعراف : من الآية ١٨٦ .

(٥) الأنبياء : ٢٣ .

(٦) الكهف : من الآية ٤٩ .

(٧) فصلت : ٤٦ .

مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١﴾ وقال :
﴿... إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
بِعَزِيزٍ ﴿٢﴾

وفى الحديث القدسى : « يا بنى آدم ما خلقتكم لأستكثر
بكم من قلة ، ولا لأستأنس بكم من وحشة ، ولا لأستعين بكم
من وحدة على أمر عجزت عنه ، ولا لجبرّ منفعة ، ولا لدفع
مضرة ، بل خلقتكم لتعبدونى طويلا ، وتشكرونى كثيرا ،
وتسبحونى بكرة وأصيلا . ولو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم
وجنكم ، وحيكم وميتكم ، وصغيركم وكبيركم ، وحرّكم
وعبدكم - اجتمعوا على طاعنى ما زاد ذلك فى ملكى مثقال
ذرة . ولو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، وحيكم
وميتكم ، وصغيركم وكبيركم ، وحرّكم وعبدكم - اجتمعوا
على معصيتى ما نقص ذلك من ملكى مثقال ذرة » .

(١) البقرة : من الآية ٢٨٤ .

(٢) إبراهيم : آخر الآية ١٩ ثم الآية ٢٠ .

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) وهم الفقراء إليه وهو الغنى الحميد (ومن الجائز) رؤيته تعالى بالأبصار وغيرها خرقا للعادة بلا اتصال الأشعة به تعالى ولا كيفية ولا انحصار في جهة ، قال الله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ ذَٰلِكَ نَاظِرَةٌ ﴾ (٢) ، (ومن الجائز) إنزال الكتب وإرسال الرسل مبينين للناس ما نزل إليهم مبشرين الطائعين بالجنة والنعيم المقيم، ومنذرين العاصين بالنار والعذاب الأليم ، قال تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ... ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ... ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٥) ، وقال : ﴿ ..وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

(١) العنكبوت : ٦ .

(٢) سورة القيامة : ٢٢ و ٢٣ .

(٣) آل عمران : الآية ٣ وجزء من الآية ٤ .

(٤) الكهف : من الآية ١ .

(٥) الفرقان : الآية ١ .

أَلِكِتَبَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾
وقال : ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (٢) .

هذا : وما تقدم تعلم أنه يجب على مكلف أن يعتقد أن الله تعالى متصف بصفات الجلال والكمال التي تليق بعظمته تعالى الواردة في الكتاب العزيز والسنة المطهرة . وأنه تعالى منزّه عن كل نقص ، وعن مشابهة الحوادث ، تعالى الله عن ذلك .
* * وقد أشار صاحب الخريدة إلى الجائز في حق الله تعالى ، فقال :

وجائز في حقه الإيجادُ

والترك والإشقاء والإسعادُ

ومعنى هذا البيت كما جاء في (تهذيب شرح الخريدة) ، هو : (وجائز في حقه) تعالى (الإيجاد) أى إيجاد الممكنات والإيجاد والخلق بمعنى واحد وهو تعلق القدرة بوجود المقدور ، فإن تعلق بالحياة سمي إحياء ، وبالموت سمي إماتة ، وبالمرزوق سمي رزقا ، وهذه التعليقات هي المسماة بصفات

(١) النحل : من الآية ٨٩ .

(٢) النساء : من الآية ١٦٥ .

الأفعال ، وهى حادثة كما ترى ؛ لأنها عبارة عن التعلق بالتنجيزى
 للقدرة ، وهو حادث قطعاً (والترك) أى ترك الإيجاد للممكّنات ،
 يعنى أن إيجاد كل ممكن أو تركه أمر جائز فى حقه تعالى إن شاء
 فعل وإن شاء ترك ، ومن ذلك بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام ،
 ورؤية البارئ تعالى ، وإثابة العاصى ، وتعذيب المطيع و (الإشقاء
 والإسعاد) أى إيجاد الشقاوة والسعادة ، وإنما نص عليهما وإن
 دخلا فى الإيجاد اهتماماً بشأنهما .

* * فلاحظ كل هذا - أخا الإسلام - وكن دائماً وأبداً
 على صلة بهذا الإله العظيم عن طريق هذه المعرفة التى لا بد وأن
 تكون على هذا الأساس العقائدى الذى وقفت عليه .

وذلك حتى تكون من هؤلاء الموحدين حقاً ، وأعنى بهم
 الذين عرفوا الله تعالى فعرفهم ، وذكروا الله تعالى فذكّروهم ، فكانوا
 هداة مهدين ، وقادة منتصرين ، وكانوا رجالاً كما تحدث الله
 سبحانه وتعالى عنهم فى قوله : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ
 عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَلْقَافُ فِيهِ
 الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (١) .

(١) النور : ٣٧ .

وكانوا كذلك بسبب هذا من الذين عرفوا كيف يتضرعون
إليه سبحانه وتعالى بشفافية إن دلت على شيء فإنما تدل على
صدق إيمانهم بالله تعالى وصلتهم الوثيقة به .

وحسبى حتى تتضح الصورة لنا أن أختتم هذا الموضوع
بقصيدة للأستاذ الشيخ الفاضل : إبراهيم بدوى ، نشرت بمجلة
(الوعى الإسلامى)^(١) وفيها يقول كلاما توحيديا من أرقى وأعظم
ما قرأت فى هذا المجال الذى لا يستطيع أن يرقى إليه إلا من تذوق
حلاوة المعرفة ..

فإليك هذه القصيدة بنصها ، تحت عنوان :

مع الله

بك أستجير ومن يجير سواكا

فأجِر ضعيفا يحتمى بحِمَاكا

إنى ضعيف أستعين على قوى

ذنبنى ومعصيتى يعض قواكا

(١) العدد : ٥٤ .

أَذْنِبْتَ يَا رَبِّي وَأَذْنَبَنِي ذَنْبُو
ب مَا لَهَا مِنْ غَافِرٍ إِلَّا كَأَنَّ
دُنْيَايَ غَرْتَنِي وَعَفْوُكَ غَرَّنِي
مَا حِيلَتِي فِي هَذِهِ أَوْ ذَاكَ ؟
لَوْ أَنَّ قَلْبِي شَكَّ لَمْ يَكُ مُؤْمِنًا
بِكَرِيمِ عَفْوِكَ مَا غَوَى وَعَصَاكَ
يَا مُدْرِكَ الْأَبْصَارِ ، وَالْأَبْصَارُ لَا
تَدْرِي لَهُ وَلِكُنْهُ إِدْرَاكَ
أَتَرَكَ عَيْنَ وَالْعَيُونَ لَهَا مَدَى
مَا جَاوَزَتْهُ ، وَلَا مَدَى لِمَدَاكَ
إِنْ لَمْ تَكُنْ عَيْنِي تَرَكَ فَإِنْنِي
فِي كُلِّ شَيْءٍ أَسْتَبِينَ عِلَاكَ

* * *

يا منبت الأزهار عاطرة الشذا
هذا الشذا الفواحُ نَفَحُ شَذَاكَ
يا مجرى الإنهار : ما جريانها
إلا انفعالة قطرة لنسداكا
رباه ، هأنذا خلصت من الهوى
واستقبل القلب الخلى هواكا
وتركت أنسى بالحياة ولهوها
ولقيت كل الأنس فى نجواكا
ونسيت حبي واعتزلت أحبتى
ونسيت نفسى خوف أن أنساكا
ذقت الهوى مرا ولم أذق الهوى
يارب حلوا قبل أن أهواكا
أنا كنت ياربى أسير غشاوتى
وبدأت بالقلب البصير أراكا

يا غافر الذنب العظيم وقابلا
للتوب : قَلْب تائب ناجاكا
أترده وترد صادق توبتي ؟
حاشاك ترفض تائبا حاشاكا
يارب ، جئتكَ نادما أبكى على
ما قدمته يدای لا أتباكى
أنا لست أخشى من لقاء جهنم
وعذابها ، لكننى أخشاكا
أخشى من العرض الرهيب عليك يا
ربى وأخشى منك إذ ألقاكا
* * *
يارب عدت إلى رحابك تائبا
مستلما مستمسكا بعراكا

مالى وما للأغنياء وأنت يا
رب الغنى ولا يُحدُّ غناكا ؟
مالى وما للأقوياء وأنت يا
ربى ورب الناس ؟ ما اقواكا !
إني أويت لكل مأوى فى الحيا
ة فما رأيت أعز من مأواكا
وتلمست نفسى السبيل إلى النجا
ة فلم تجد منجى سوى منجاكا
وبحثت عن سر السعادة جاهدا
فوجدت هذا السر فى تقواكا
فليرض عنى الناس أو فليسخطوا
فلسوف لا أسعى لغير رضاكا
أدعوك ياربى لتغفر حوبتى
وتعيننى وتمدنى بهداكا

فاقبل دعائي واستجب لرجاوتي

ما خاب يوما من دعا ورجاكا

يارب هذا العصر ألحدَ عندما

سخرت يارب له دنياكا

علمته من علمك (النوى) ما

علمته فإذا به عاداكا

ما كاد يطلق للعلا صاروخه

حتى أشاح بوجهه وقلاكا

واغتر حتى ظن أن الكون في

يمنى بنى الإنسان لا يمانكا

أوما درى الإنسان أن جميع ما

وصلت إليه يداه من نعمكا ؟

أو ما درى الإنسان أنك لوأرد

تَ لظلت الذرات فى مَخْبَاكا ؟

لو شئت ياربى هوى صاروخه
أولو أردت لما استطاع حراكا
يأيها الإنسان ، مهلا واتمد
واشكر لربك فضل ما أولاك
واسجد لمولك القدير فإنما
مستحدثات العلم من مولاكا
أفإن هداك بعلمه لعجبة
تزور عنه وينثنى عطفاك
إن النواة ولكرونات التى
تجرى يراها الله حين يراكا
ما كنت تقوى أن تفتت ذرة
منهن لولا الله قد قواكا

* * *

كل العجائب صنعة العقل الذى
هو صنعة الله الذى سواكا
والعقل ليس بمدرك شيئا إذا
ما الله لم يكتب له الإدراكا
لله فى الآفاق آيات لَعَّ
لَّ أَقْلَهَا هو ما إليه هداكا
ولعل ما فى النفس من آياته
عَجَّبَ عَجَابٌ لَو تَرَى عَيْنَاكَ
والكون مشحون بأسرار إذا
حاولت تفسيرها أعيكا
قل للطبيب تخطفته يد الردى :
يا شافى الأمراض من أركا ؟
قل للمريض نجا وعوفى بعدما
عجزت فنون الطب : من عافاكا ؟

- قل للصحيح يموت لا مِن علة
مَن بالمتايا يا صحيح دهاكا ؟
- قل للبصير وكان يحذر حفرة
فهوى بها : من ذا الذى أهواكا ؟
- بل سائل الأعمى خطا بين الزحا
م بلا اصطدام : من يقود خطاكا ؟
- قل للجنين يعيش معزولاً بلا
راع ومرعى : ما الذى يرعاكا ؟
- قل للوليد بكى وأجهش بالبكا
لدى الولادة : ما الذى أبكاكا ؟
- وإذا ترى الثعبان ينفث سمه
فاسأله : من ذا بالسموم حشاكا ؟
- واسأله : كيف تعيش يا ثعبان أو
تحيّا ، وهذا السم يملأ فاكا ؟

واسأل بطون النحل : كيف تقاطرت

شهدا ، وقل للشهد : من حلاكا ؟

بل سائل اللبن المصفى كان يـ

من دم وفرث : ما الذى صفأكا ؟

وإذا رأيت الحى يخرج من حنا

يا ميت فاسأله : من أحيأكا ؟

قل للهواء تحسه الأيدى ويخـ

فى عن عيون الناس : من أخفاكا ؟

قل للنبات يجف بعد تعهد

ورعاية : من بالجفاف رماكا ؟

وإذا رأيت النبت فى الصحراء يرـ

بـو وحده فاسأله : من أربأكا ؟

* * *

وإذا رأيت البدر يسرى ناشرا

أنواره فاسأله : من أسراكا ؟

واسأل شعاع الشمس يدنو وهي أبـ

بعد كل شيء : ما الذى أدناكا ؟

قل للمرير من الثمار : من الذى

بالمر من دون الثمار غداً كا ؟

وإذا رأيت النخل مشقوق النوى

فاسأله : من يا نخل شقَّ نَوَاكا ؟

وإذا رأيت النار شب لهيها

فاسأل لهيب النار : من أوراكا ؟

وإذا ترى الجبل الأشم مناطحا

قمم السحاب فسله : من أرساكا ؟

وإذا ترى صخرا تفجر بالميا

، ، فسله : من بالماء شق صفاكا ؟

وإذا رأيت النهر بالعذب الزلا

ل جرى فسله : من الذى أجراكا ؟

وإذا رأيت البحر بالملح الأجـا

ج طفئى ، فسله : من الذى أطعـاكا ؟

وإذا رأيت الليل يغشى داجيا

فاسأله : من يا ليل حاك دجاكا ؟

* * *

وإذا رأيت الصبح يسفر ضاحيا

فاسأله : من يا صبح صاغ ضحاكا ؟

هذى عجائب طالما أخذت بها

عيناك وانفتحت بها أذناكا

والله فى كل العجائب مائل

إن لم تكن لتراه فهو يراكا

يأيها الإنسان ، مهلا ، ما الذى

بالله جل جلاله أغراكا

حاذر إذا تغزو الفضاء فرما

تأر الفضاء لنفسه فغزاكا

أَغْزُ الفُضَاءَ ، ولا تكن مستعمرا
أو مستغلا باغيا سَفَاكا
سَخَّرْ نشاط العلم فى حقل الرخا
ء يصغ من الذهب النضار ثراكا
سخره يَمَلَأُ بالسلام وبالتعا
ون عالما متناحرا سَفَاكا
وادفع به شر الحياة وسوءها
وامسح بِنُعمَى نوره بؤْسَاكا
العلم إحياء وإنشاء ، وليد
س العلم تدميرا ولا إهلاكا
فإذا أردت العلم منحرفا فما
أشقى الحياة به وما أشقاكا !

* * وهكذا كما رأيت - أنخا الإسلام - يستطيع المؤمن
الصادق فى حبه لله تبارك وتعالى أن يترجم حبه هذا ، بهذا التوحيد

الخالص الذى إن دل على شىء فإنما يدل على أن قائل هذا الفكر
السليم قد عرف الله تعالى حق المعرفة ، وحسبه هذا ، لأنه كما
يقول أحدهم :

من عرف الله فلم تفنه

معرفة الله فذاك الشقى

فلتكن إن شاء الله تعالى من أهل المعرفة حتى تكون من
السعداء لا من الأشقياء .

والله ولى التوفيق ،،

خادم القرآن والسنة

طه عبد الله العفيفى

وختاماً أخا الإسلام :

وبعد أن وقفت معى على تلك الأساسيات العقائدية الهامة التى كان لابد وأن نقف عليها بوصفنا مؤمنين بالله ربا ، وبالإسلام ديننا ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا - أرجو أن تكون مؤكدا لكل هذا بالتوحيد الخالص ، الذى ينبغى أن يكون منزها عن الانخراط فى (سلك) الفرق الضالة التى منها ^(١) :

* المعتزلة : التى كان احتكامها فى البدء إلى رأى المجرّد دون النقل ، وإلى الفلسفة دون النبوة ، ثم سرعان ما جنحوا إلى لوثة تجردية موعلة فى الضلال أفضوا منها إلى متاهات الزيغ والإلحاد ، وإن كان بدأ أمرهم بالرد على النصارى والفلاسفة اليهود .

* والخوارج : وقد افترقوا على نحو عشرين فرقة يقال لهم الحرية نسبة إلى موطنهم الأول حروراء وهى بلدة بظاهر الكوفة . كما يقال لهم الشراة نسبة إلى ما زعموه أنهم شروا أنفسهم من الله .

(١) كما جاء فى مقدمة الكتاب (العلو للعلی الغفار) للأستاذ المراجع لأصوله : عبد

الرحمن محمد عثمان .. يتصرف .

كما يقال لهم النواصب نسبة إلى الناصب أو الناصبي الذي غلا في بغض على رضى الله عنه ، ونصب نفسه لحربه .

وبدأ أمرهم بخروج عبد الله بن الكواء يشكرى عن طاعة أمير المؤمنين على بعد أن كان من قواد جنده وأهل النجدة والبأس من رجاله ، وتلاه شيث ابن ربيع ، وكان من قواد على أيضا ، وهو الذى جمع الخوارج ووجد صفوفهم .

ويجمع الخوارج - على اختلاف طوائفهم - على إكفار عثمان وعلى والحكمين ^(١) ومن رضى بالتحكيم أو بأحد الحكمين ، وإكفار مرتكب الذنوب والخروج على السلطان الجائر. ومن فرقهم :

* الأزارقة : أتباع نافع بن الأزرق الحنفى ، وهم أشد فرقة فيهم بأسا ، وأكثرهم عددا ، قالوا : كل صاحب ذنب مشرك .

* النجدات : أتباع نجدة بن عامر الحنفى ، قالوا : من نظر نظرة أو كذب كذبة - ولو صغيرة - فأصر عليها فهو مشرك ، ومن زنى وسرق وشرب الخمر غير مصر فهو مسلم إن كان على

(١) وهما عمرو بن العاص ، وأبو موسى الأشعرى .

مذهبهم .

* الصفرية : أتباع زياد بن الأصفر قالوا : كل ذنب ليس فيه حد فهو كفر وصاحبه كافر ، ووافقوا جملة ماقلته الأزارقة .

* أما الغلاة : فقد قالوا بإلاهية على والأئمة وأسقطوا الفرائض وأباحوا المحرمات وقلدوا السبئية عليهم لعنة الله .

* أما المعتزلة : فقد غاصوا فيما لا نجاة لهم من بحوره ، فما يتعلق أحدهم بقشة حتى تصرعه لجة ، وما يخلص من أحبولة حتى يقع في أحابيل ، تفرعوا إلى حوالى عشرين طائفة اتفقت كلها على نفى صفات البارى سبحانه جل جلاله وأنه ليس له (سبحانه) علم ولا قدرة ولا إرادة ولا سمع ولا بصر ولا حياة ، الخ ، واتفقت طوائفهم على أن الله - سبحانه - لا يرى نفسه ولا يرى شيئا ، سبحانه عما يقولون وتعالى علوا كبيرا :

* ومن طوائفهم الواصلية : أتباع واصل بن عطاء .

* ومن طوائفهم الهذيلية أتباع العلاف ، والنظامية أتباع ابن يسار ، كان أبو الهذيل العلاف خاله .

- * ومنهم المعمرية : أتباع معمر بن عباد .
- * ومنهم البشرية : أتباع بشر بن المعتمر ، وله أراجيز تبلغ أربعين ألف بيت في وصف ونصرة مذهبه في الاعتزال .
- * ومنهم الإسكافية : أتباع محمد بن عبد الله الإسكافي ، ويزعم قدرة الله على ظلم الأطفال دون الكبار .
- * ومنهم الثمامية : أتباع ثمامة بن أشرس النميري مولاهم .
- * ومنهم الجاحظية : أتباع عمرو بن بحر الجاحظ ، وهو ضال مفسد حسن البيان ، أظهر القول بخلق القرآن ، واستحدث القول بالجواهر والعرض ، واختلق الكلام في الصفات : أهى نفس الذات أم بائة عنها . وعارضه وأضربه بعض مشبتي الصفات فغلاً بعضهم حتى صاروا إلى التشبيه والتجسيم .
- * ومنهم الجبانية : أتباع أبي على الجابي ، وفرقهم كثيرة موغلة في الضلال والزيف والإلحاد .
- * ومثلهم البهشمية : أتباع أبي هاشم وابنه ، وقد خالف أباه في تسع وعشرين مسألة ، تماماً كما خالف أبوه شيخه أبا الهذيل العلاف في قرابة العشرين مسألة .

* * أما الفرق الأخرى ذوات المقاصد الخبيثة التى عملت
على إفساد عقائد المسلمين فمنهم :

* المرجئة : الذين قالوا : ليس لله على عباده فريضة إلا
الإيمان ، ومن آمن فقد عرفه ، ومن عرفه فليفعل ما يشاء .

والإيمان عندهم هو الإقرار بالشهادتين فقط ، وسموا المرجئة
لأنهم أرجئوا العمل والطاعات ، أى أخروها عن الإقرار . والفرائض
عندهم ليست عبادات بل طاعات ، صاروا إلى خمس فرق ، منها
المريسية أتباع بشر المريسي الذى يقول : إن السجود للصنم ليس
بكفر ، إنما هو دليل على الكفر وإن القرآن مخلوق .

ومنهم السيبائية الذين يقولون بأن الله سيب خلقه ليعملوا
ماشاءوا .

* والجهمية : قالوا : إن الله سبحانه لا يعلم ما يكون ، وإن
كلام الله وعلمه حادث وإنه لا فعل لأحد غير الله ، وأفعال البشر
اضطرابية ، وهم أتباع جهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم أول
زنديق أظهر بدعة القول بخلق القرآن .

والجهمية صاروا إلى طوائف كثيرة ، منهم المعطلة ، والزنادقة الذين يقولون لا رب مادام يدرك بالحواس ، وكل ما يدرك بالحواس فهو مخلوق فليس برب .

* والجبرية : الذين ينسبون الفعل كله لله ، وينفون عن الخلق الكسب والاستطاعة ، وقد صاروا إلى طوائف منها : النجارية زعموا أن الله يعذب الناس على فعله لا فعلهم . ومنها السابقة قالوا : السعيد لا تضره ذنوبه ، والشقي لا تنفعه طاعته .

* والكرامية : أتباع محمد بن كرام ، قالوا : إن معبودهم محل للحوادث ، وإنه جسم له حد واحد من الجانب الذى على العرش ، ولا نهاية له من الجانب الآخر . وهم يرون التلفظ بالشهادتين كافيا ولو مع بقاء النفاق والزندقة فى القلب ، وإن الله له ثقل تنفطر منه السماء .. الخ ، وسوى ذلك من المقالات التى بلغت غايات الشناعة ، لعن الله قائلها لعنا كبيرا .

* * وقد قرأت أن صبيغ بن عبل من أهل مصر ذهب إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه يسأله عن تفسير قوله تعالى :

« الرحمن على العرش استوى » فيقول له : ليس عندى علم ذلك ، وإنى مرسلك إلى من عنده علم ذلك ، ويبحث به إلى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ومعه كتاب يقول فيه : يا أمير المؤمنين إن هذا الرجل يسأل عن متشابه القرآن .

فلما قدم الرجل وقرأ عمر الكتاب غضب حتى استبان فى وجهه الغضب ، وقال : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله صبيغ . فقال وأنا عبد الله عمر ، وقام إليه يضربه بعرجون النخل حتى أدمى رأسه . فيقول صبيغ : حسبك يا أمير المؤمنين ، قد ذهب والله الذى كنت أجده فى رأسى ، ثم نفاه إلى البصرة ، وأمر أن يهجر سنة فلا يكلمه أحد .

وكان على رضى الله عنه يقول : لو وجدت رجلا من أهل القدر لأخذت بعنقه ولا أزال أضربه حتى أكسر عنقه ؛ فإنهم يهود هذه الأمة .

* * فلاحظ كل هذا - أننا الإسلام - حتى تحذر الوقوع فى كل تلك الفتن .. وحسبك أن تكون كالإمام فخر الدين الرازى الذى قال فى كتابه : « أقسام الذات » بعد أن مر ببعض التجارب

الفكرية التي كادت أن تفتته ، لولا لطف الله به :

نهاية إقدام العقول عقلاً .

وغاية سعي العالمين ضلالٌ

وأرواحنا في وحشة من جُسمنا

وحاصل ديانا أذى ووبالٌ .

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا

سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ثم يقول فيه : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية

فما رأيتها تشفى غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن ، أقرأ في

الإثبات : « الرحمن على العرش استوى » و (إليه يصعد الكلم

الطيب) وأقرأ في النفي (ليس كمثله شيء) ، (ولا يحيطون

به علماً) ومن جرب تجربتي عرف مثل معرفتي .

✻ ✻ أسأل الله تعالى أن يقينى وإياك شر الفتن ، ما ظهر منها

وما بطن ، وأن يجعلنى وإياك من أهل التوحيد الخالص ، آمين .

مراجع الكتاب

- * القرآن الكريم •
- * مختصر تفسير الإمام الطبري .
- * رياض الصالحين - للإمام النووي .
- * الدين الخالص - للإمام محمود خطاب السبكي .
- * منهاج المسلم - للإمام أبي بكر الجزائري .
- * رسالة التوحيد - للإمام الشيخ محمد عبده .
- * الفتاوى الأمينية - للإمام أمين محمود خطاب السبكي .
- * هذه دعوتنا - للإمام عبد اللطيف مشتهري .
- * فقه السيرة - للشيخ محمد الغزالي
- * مع الله - نظرات في المكون والحياة - للأستاذ عبد الجواد رجب .
- * للكون إله - مدخل إلى التوحيد - للشيخ عبد العزيز كامل الشهابي .

- * تهذيب شرح الخريدة - فى علم التوحيد - للأستاذين حسن السيد الهوبى ، أحمد الطنطاوى جميل .
- * البحوث الدينية (التوحيد) - للأستاذين : يوسف مصطفى الحمادى ، محمد محمد الشناوى .
- * شرح أحكام الإسلام - للعلامة الشيخ عبد العزيز النابلسى .
- * مذكرات التوحيد - لفضيلة الشيخ عبد الرحيم مكى .
- * منهاج الصالحين - للأستاذ عز الدين بليق ..
- * وصايا الرسول ﷺ - للشيخ طه عبد الله العفيفى .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الاهداء .	٥
تقديم هام .	٧
من هو الله تبارك وتعالى ؟	١٣
أسماء الله الحسنى	١٤
شرح الأسماء الحسنى	٣٩
من دلائل قدرة الله	٨٣
البراهين الدالة على وجود الخالق سبحانه وتعالى	٨٧
حقيقة المعرفة والتقليد والدليل	١٢٠
المعرفة والتقليد فى عقائد التوحيد	١٢٢
حقيقة الإيمان وبيان المذاهب فيه	١٢٤
حقيقة الإسلام وبيان المذاهب فيه	١٢٧
ما اعتبره الشارع منافيا للإيمان	١٢٨
الواجب فى حق الله تبارك وتعالى	١٣٠
ما يجب فى حق الله وما يستحيل عليه	١٣٣

الموضوع	الصفحة
عقيدة أهل السنة	١٧٨
الأرادة والأمر	١٩٦
المستحيل فى حق الله تعالى	٢١٩
الجائز فى حق الله تعالى	٢٢٤
قصيدة : « مع الله »	٢٣٠
وختاما أخا الاسلام	٢٤٤
مراجع الكتاب	٢٥٣

هذا الكتاب

كما سيري الأخ المسلم . . نذور حول موضوع من أهم الدروس العقائدية . . ألا وهو : (الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة في حق الله تبارك وتعالى) .

● ولسوف يتأكد للأخ المسلم بعد قراءته أنه كان من الواجب عليه أن يدرسه ويقف على تفاصيله . . حتى يعرف الله تعالى حق المعرفة . . وحتى يطمئن كذلك على عقيدته . . وذلك من خلال تلك الأدلة والبراهين الساطعة التي سيكون بسبب معرفتها إن شاء الله من أهل العقيدة الصحيحة . . (عقيدة أهل السنة) التي سيقف عليها في هذا الكتاب . .

● هذا بالإضافة إلى أنه سيقف كذلك على تعريف الإيمان والإسلام وبيان المذاهب فيها . . مع الإشارة في ختام هذا الكتاب إلى بعض الفرق الضالة التي نسأل الله تعالى أن ينجينا منها ومن ضلالها . . . اللهم آمين ، ،

الناشر



طبعة - نشر - توزيع

١٦ شارع عبدالقادر لوت - طبرق ٢٩٢٢٢٥٥ - ٢٩٢٢٧١٢ - لاس: ٢٩٠٩٦١٨ - برقا دار خالو - ص:ب: ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIYAH AL-LUBNANIAH

PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 AND EL KHALAKI SARWAT St. P.O. Box 3023-Cairo-Egypt PHONE: 398743-3923023 FAX: 398618 CABLE DARSHAD